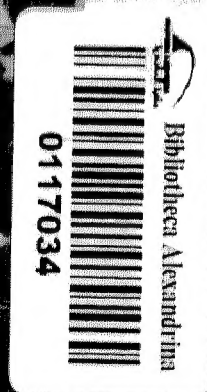
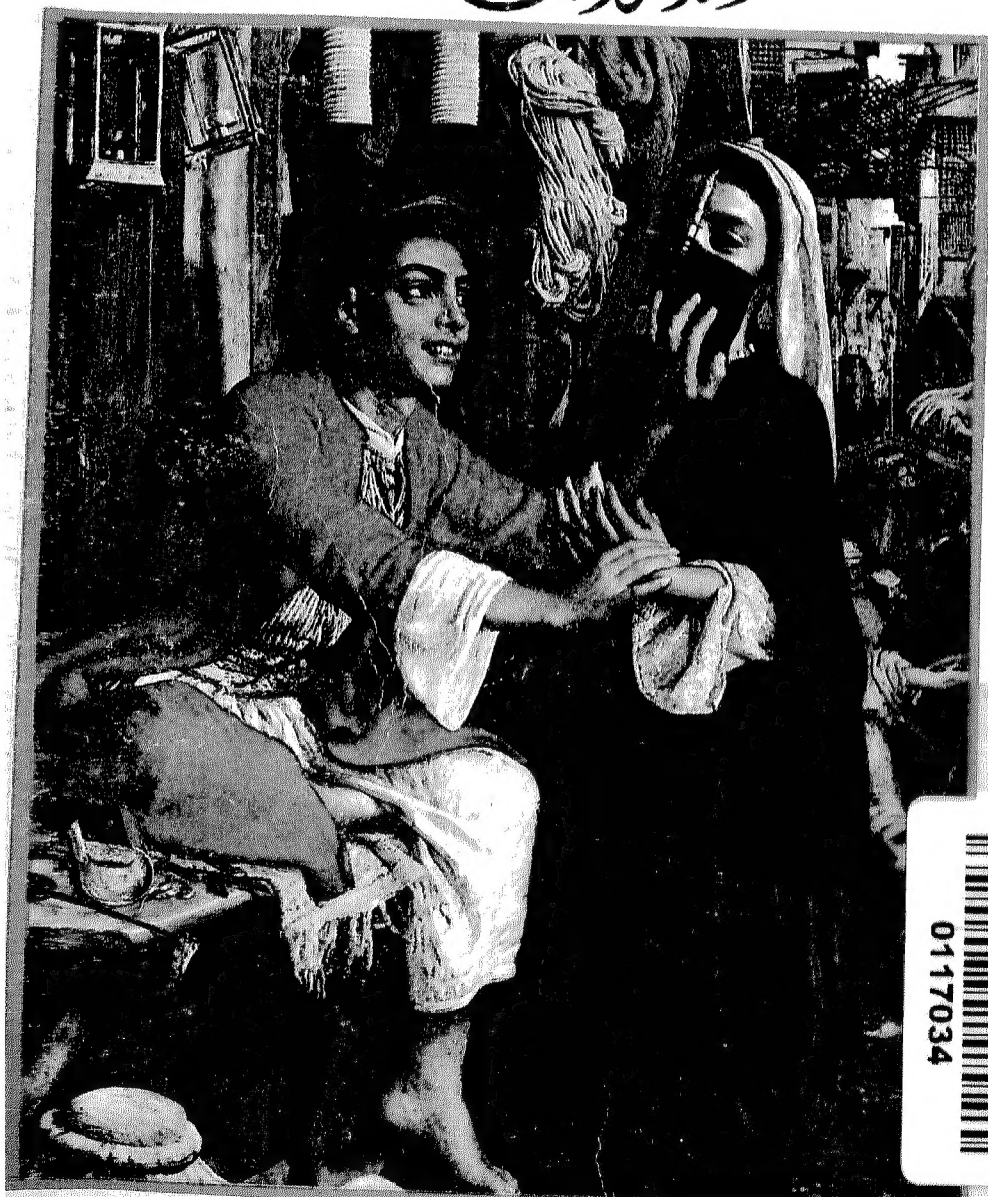
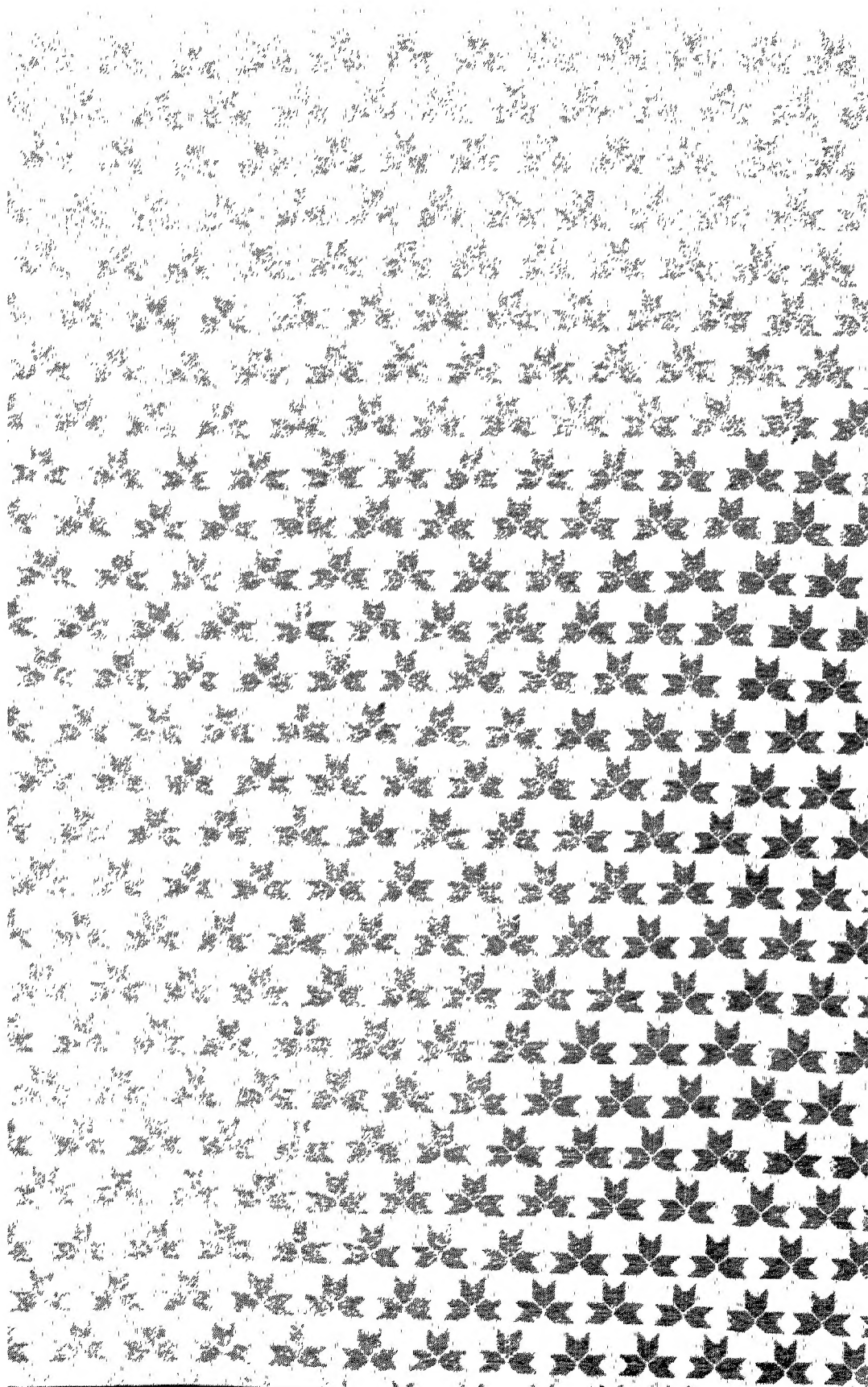


الحب عند العرب

للعلامة الحق المفقورة
أحمد تيموري





الحُبُّ عَيْنُ الْعَرَبِ

لِلْعَلَّامَةِ الْمُحَقِّقِ الْمَغْفُورِ لَهٗ
أَحْمَدَ تَيْمُورِيَّاتٍ

صفات الحب وأغراضه وأنواعه ومختارات وطرائف مما قيل في العشق
والجمال والغزل ووصف النساء ومقاطع رقيقة ونوادر فائقة للشعراء
العشاق من كل لفظ شائق بديع ومعان كأنها زهر الربيع



دار المعارف للطباعة و النشر
سوسة - تونس

العدد المسند من طرف الناشر 93/247
تدمك : 6 - 205 - 16 - 9973 ISBN

تمهيد لمقدمة الكتاب (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى حكم بمدله فقهر ، ودبر بلفظه فيسر ، وألف بين مَنْ شاء مِنْ أحبائه
وجملهم أحبباً ، وجعل لهاليس الأنس من الفضلاء والندماء ألباباً ، فهم يتذكرون النوادر
والأخبار ، ويفتخمون فى تلك الأوقات منادمة الأصحاب وتناشد الأشعار . أحمده على كلّ
نعمة ، وأشكره إذ جعلنا من خير هذه الأمة ، وأستغفره من كلّ ذنب يوجب النعمة ،
وأعهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تبحرني من الخطايا والزلل ، وأعهد
أنّ محمداً عبده ورسوله المبرأ من النقص والخلل ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه التابعين وتابع التابعين . وبعد : فهذا مجموع يشتمل على فصول تحوى مقاطيع
رائقة ، وقصائد فائقة ، من كلّ لفظ بديع وممان كأنها زهر الربيع ..

(١) عثرت اللجنة بين مخطّات المؤلف على الجزء الأول من مقدمة هذا الكتاب ، ولم نجد أثراً
لهيئة أجزاء المقدمة . ولعله رحمه الله ترك استكمالها حتى يتم جميع مواد الكتاب . ولما لم يمهّل الأجل
تحقيق ما توخاه ، آثرنا إثبات هذا الجزء من المقدمة كما وجدناه ..

دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عزّ وجلّ - حبّه وحبّ من يحبّه وحبّ عمل يقرب إلى حبّه .
ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه :

اللهم إني أسألك حبّك ، وحبّ من يحبّك ، وحبّ عمل يقربني إلى حبّك .
اللهم ما رزقتني مما أحبّ ، فاجعله قوّة لي فيما تحبّ . وما زويت عني مما أحبّ ،
فاجعله فراغاً لي فيما تحبّ .

اللهم اجعل حبّك أحبّ إليّ من أهلي ومالي ، ومن الماء البارد على الظمأ .
اللهم حبّيني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين .
اللهم أخى قلبي بحبّك ، واجعلني لك كما تحبّ .
اللهم اجعلني أحبّك بقاى كلّ ، وأرضيك ببجهدى كلّ .
اللهم اجعل حبّتي كلّ لك ، وسمي كلّ في مرضاتك .

هذا الكتابُ بقلم الأستاذ عبد السلام شهاب

لم يكن عجباً ، أن يعنى بأمر الحبّ والجمال ، عالم أديب ، حجة في اللغة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون ، واشتهر إلى ذلك بالترام الوقار والمحافظة على التقاليد الدينية والاجتماعية ، هو المغفور له العلامة « أحمد تيمور باشا » صاحب هذا الكتاب .

فن قبل ذلك بمئات السنين ، عنى بأمر الحبّ والمحبين ، كثير من أكابر العلماء والأدباء ، وذوى المكانة الرفيعة والكلمة الموقرة المطاعة ، في شئون الدين وشئون الدنيا على السواء .

وسيطالع قراء الكتاب ، فيما تضمنه من آراء وأحاديث ونوادر وأشعار وغيرها ، أسماء عشرات من هؤلاء وهؤلاء ، وفي مقدمتهم : أنبياء وخلفاء وسلاطين ، وفلاسفة وفقهاء ومتصوفون ، بل سيجدون كذلك أن موضوع الحبّ والمحبين قد اختصّ بكتاب كامل من أهمّ كتب التراث العلمى والأدبى العربى ، هو كتاب « طوق الحمامة في الألفة والألاف » الذى قام بتأليفه منذ أكثر من تسعمائة سنة أحد أئمة المسلمين المشهود لهم بالورع والتقوى والافتداء ، هو الوزير الفقيه الفيلسوف أبو محمد على بن أحمد بن سميد بن حزم الأندلسى ، وقد فصل فيه عناصر الحبّ وصفاته وآفاته ، وساق أمثلة من تجاربه الخاصة فيه ، وملاحظاته على المحبين من أهل عصره ومخاطبيه ، وأكد بالأدلة القاطعة المقبولة ، أن « الحبّ ليس بمُنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة » .

وتعرضت كتب أخرى كثيرة ، لهذا الموضوع الشائق ، منها كتاب « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » ، للعلامة الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

والمستقرى لتواريخ الأمم والشعوب ، قديمها وحديثها ، وكبيرها وصغيرها ، لا بد واجد أنها كلها - دون استثناء - تشترك في معرفة الحب ومعاناته ، وفي تقدير أهميته في حياة الفرد والمجتمع . ثم هو إلى جانب ذلك لن يفوته أن يلاحظ أن « الحب والجمال عند العرب » لهما مقام أسنى ومنزلة أعظم . فإذا هو التمس أسباب هذا ودواعيه ، فما أيسر أن يتبينها فيما توافر للعرب في بيئتهم الخاصة ، من فطرة سليمة وإحساس مرهف ، ومن تذوق دقيق واع لما يحيط بهم من روائع الجمال وبدائمه ، متمثلة في مناظر صحرائهم ، بما اشتملت عليه أرضها من رمال وتلال وجبال مختلفة الألوان ، وبما اشتملت عليه سماؤها من غيوم ونجوم ، تسحر العيون والألباب .

فإذا أضيف إلى ذلك ما امتاز العرب به من كثرة الترحال والانتقال انتجاعاً للرّزق ، ومن فصاحة اللسان والجنان ، والقدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بصدق وإخلاص ، فهذان يرهانان آخران على أنهم خلّقوا ليكونوا أحقّ بالحب وأهله ، وأقدر على حمل تبعاته وأصدق تصويراً له وتعبيراً عنه .

وقد تنسّى بجمال الحبّ وحبّ الجمال فطاحل الشعراء العرب ، منذ عصر الجاهلية . ولم تخل من الحديث عن ذلك أو الاستهلال به أكثر القصائد الكبرى التي قدّسها العرب الجاهليون وعلّقوها على الكعبة تشريفاً لأصحابها ، وتقديراً لبلاغتها فيما أكد كثير من الرواة .

وفي أشهر هذه « المملكات » يقول امرؤ القيس بن حجر الكندي :

أفاطيمُ : مهلاً ، بعضَ هذا التَّدَلُّلِ وإن كنت قد أزممت صرعى فأجملِي
أغرّكِ مِنِّي أنَّ حبَّكِ قَاتِلِي وأنكٍ مَهَمَّا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ ؟

ويفتتح الحارث بن حلزة اليشكري معلقته بقوله في حبيبته « أسماء » :
 آمَنَّا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءَ رَبِّ مَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ
 أما طرفة بن العبد ، فقد أكل معلقته مائة بيت ابتدأها بالشوق إلى « خولة »
 محبوبته ، فذكر أطلال ديارها ، ومراكبها التي حملتها بعيداً منه ، ومراكبها التي يعصى عليها
 هائماً مشتاقاً إلى اللقاء ، ومطلع معلقته :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِرَقَّةَ مَهْمَدٍ تُلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ أَيْدٍ
 ويقول عنتر بن شداد العبسي في معلقته ، موجّهاً الخطاب إلى عبلة ابنة عمه :
 ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهِلُ مِنِّي وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَقَطُّرُ مِنْ دَمِي
 فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنِّي لَمَعْتُ كَبَارِقِ نَعْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ
 ويفتح النابغة الذبياني معلقته ، بذكر « مية » حبيبته وديارها التي أقفرت من
 أهلها فيقول :

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْمَكِيَاءِ فَالَسَّنَدِ أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ
 أَضَحَّتْ خَلَاءُ وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ
 ويقول ذو الأسبغ العدواني ، يشكو فراق محبوبته « رياء » :
 يَا مَنْ لِقَلْبٍ طَوِيلِ الْبَثِّ حَزُونِ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا .. أُمُّ هَارُونِ
 فَقَدْ غَنِينَا وَشَمَلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا ، وَرِيًّا لَا تَعَايِنِي
 تَرْمِي الْوُشَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَسْكُونِ

ويقول السموءل بن عاديء من قصيدة له يشكو فيها مرارة العذل ، ويؤكد أنه لن
 يلتهى عن حبِّ صاحبتة مهما يطَّلُ عذله ولومه :

أَعَاذَلْتِي : أَلَا - لَا تَعْدِلِينِي فَكَمْ مِنْ أَمْرِ عَاذَلَوُ عَصِيَّتِ
 دَعَيْتِي وَارْشُدِي إِنْ كُنْتُ أَعْوَى وَلَا تَعْوَى - زَعَمْتِ - كَمَا غَوَيْتِ

أَعَاذِلُ : قد أطلت اللومَ حتّى لو أُنّي مُنتَه . . . لقد انتهيتُ
وحتّى لو يَكُونُ فتى أناسٍ بكى من عَذَلٍ عَاذِلِهِ ، بكيتُ
وأى تعبير عن الحبّ ، أرقّ وأعذبُ وأنفذُ إلى القلوب قبل الأسماع ، مما عبّر عنه
الشاعر الجاهلي النخل اليشكري في بساطة محبّبة ، فقال :

وأحبّها ، وتحبّني ويحبّ ناقثها بعيرى !

وإذا كان هذا هو شأن « الحبّ عند العرب » في جاهليّتهم فلا شكّ في أن حظهم منه
قد أصبح أوفر ، بعد أن جاء الإسلام فألّف بين قلوبهم ، ورّقق من طباعهم وسما بهم درجات
في تنظيم العلاقات بين الجلسين . وقرّر للمرأة حقوقاً لم تكن لها قبله ، وحرّم البغاء .
وأوجب معاشرة النساء بالمعروف ، أو مفارقتهم بالمعروف .

وقد استوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالنساء خيراً ، وقرّر أن « خير متاع الدنيا
المرأة الصالحة » . وقال : « حُبّ إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيبُ وقُرّةُ عيني
في الصلّة » .

وجاء الخلفاء الراشدون ، فنهجوا نهجه ، واتّبعوا سنّته . وأصبح معنى الحبّ مرادفاً
لمعنى العفة والرغبة في استكمال الدين عند المسلمين .

وقد روى أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أصاب في زمانه ناساً من
هُذَيْلٍ ، فخرجت جارية منهم ، فاتبعها رجلٌ يريدُها عن نفسها ، فرمته بحجر ففصّنت
كبده . فقال عمر : هذا قتيل الله ، والله لا يودى أبداً .

كذلك أفتى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما - بأنّ قتيل الهوى لا دية فيه
ولا قصاص .

وفي أخبار الوالى العربى زياد بن أبى سفيان ، أنه قال لجلسائه يوماً : من أنعمُ الناس
عيشة ؟ قالوا : أمير المؤمنين . فقال وأين ما يأتى من قریش ؟ قالوا : إذن أنت . فقال :
وأين ما ألقى من الخوارج والنفور ؟ قالوا : فمن أنعمُ الناس عيشة أيّها الأمير ؟ فقال :

رجل مسلم ، له زوجة مسلمة ، لها كفاف من العيش . وقد رضيت به ورضى بها ، لا يعرفنا ولا نعرفه .

وقد حرص أكثر الشعراء العرب بعد الإسلام على التزام ما كان عليه أسلافهم قبله ، من استهلال قصائدهم بالنزل والتشبيب بالنساء .

وروى أن النبيّ - صلوات الله وسلامه عليه - أعرب عن استحسانه هذا التقليد الأدبي ، حينما أنشده الشاعر كعب بن زهير قصيدته التي مدحه فيها واستهلها بقوله :

بَانتْ سُمَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولٌ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفِدْ مَكْبُولٌ
وَمَا سُمَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَعْنُ غَضِيفُ الطَّرْفِ مَكْحُولٌ

وكان الخليفة العباسي هرون الرشيد يقسم أعوام حكمه : عاماً للحج البيت الحرام ، و عاماً للجهاد في سبيل الله . ومع هذا كان يستحسن أشعار النزل ووصف لواضع الحب ، ويجيز عليها ويرونها . بل كان هو نفسه فيما يقول الرواة يسابق الشعراء في هذا المضمار فيقول :

مَلَكَ الثَّلَاثِ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَلْنِي مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَالِي تَطَاوَعِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعَنَّ وَهْنِي فِي عِصْيَانِي ؟
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى وَهُوَ الضَّعِيفُ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي !

وقد حفل تاريخ الأدب العربي بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته ، وكثير منهم ينطبق عليهم القول المأثور : « من أحب فمفّ فمات ، مات شهيداً » وما زالت قصصهم تضرب مثلاً على الإخلاص والوفاء .

من هؤلاء : مثلاً : جميل بن معمر صاحب بثينة الذي يقول فيها :

وَإِنِّي لِأَرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرُهُ الْوَاقِى لَقَرَّتْ بِلَابِهِ
بـ « لا » ، وبألا أستطيع ، وبألنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى أواخره لا نلتقى وأوائله

وكان يرضى منها بالقليل كما أشار في البيتين ، وكما قال في بيت آخر :

أَقْلَبُ طَرَفِي ، فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرَفِي طَرَفَهَا حِينَ يَنْظُرُ

ومنها جميل وبثينة ، من قبيلة عذرة المشهورة بالعشق والجمال ، وقد تحاببا صغيرين ، فلما كبر خطبها ، فرفض أهلها أن يزوجوها ، ومنعوه رؤيتها ، وهددوه بالقتل فلم يعبأ بتهديدهم ، ولامه أبوه على استهتاره ومخاطرته بنفسه ، فردّ عليه قائلا :

« يَا أَبَتِ : هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا قَدَرَ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ قَلْبِهِ هَوَاهُ ، أَوْ مَلَكَ أَنْ يَسْلِيَ نَفْسَهُ . وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَحْمُو ذِكْرَهَا مِنْ قَلْبِي ، أَوْ أَزِيلَ شَخْصَهَا مِنْ عَيْنِي ، لَفَعَلْتُ . وَلَكِنْ لَأَسْبِيلُ إِلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ بَلَاءٌ قَدْ بَلَيْتَ بِهِ لِحْنِي قَدْ أُتِيحَ لِي عَلَى أَنِّي أَمْتَنَعُ عَنْ طُرُقِ هَذَا الْحَيِّ وَالْإِلَامِ بِهِ وَلَوْ مِتُّ كَمَدًّا . وَهَذَا جَهْدِي وَمَبْلَغُ مَا أَقْدَرُ عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ عَلَى حَبِّهِ لَهَا حَتَّى قَضَى أَسَى وَلَوْعَةٍ لِفِرَاقِهَا .

ومنها قيسُ لُبَنَى . وكان قد تزوجها . وسعدا بتبادل الحبّ حيناً ، ثمّ طلقها نزولاً على إرادة أبيه . ولم ينفعه الندم بعد ذلك فهام على وجهه ينشد السلوان . لكنه لم يستطع صبراً على فراقها ، وظلّ يذكرها حتى مات .

ومنها توبة بن الحمير وصاحبته ليلي الأخيلىة ، وفيها يقول :

وَلَوْ أَنَّ لِيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ سَلَّمَتْ عَلَى دُونِي تُرْبَةً وَصَفَاحُ

لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ . . زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

ومنها كثير وصاحبته عزة ، وعمر بن أبي ربيعة وصاحبته الثريا ، وقيس بن الملوّح مجنون ليلي ، وقيس بن ذريح وصاحبته لُبَنَى ، وعروة بن حزام وعفراء ، وكثير غيرهم من العشاق العرب في مختلف العصور والبلدان .

ولقد كان صاحب هذا الكتاب ، يعدّ في طليعة المشهود لهم بالتعمق في دراسة تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وسبق أن أخرجت له لجنة نشر المؤلفات التيمورية طائفة من الكتب القيمة في جهرة من هذه الفنون والآداب والعلوم ، آخرها « الموسيقى والنماء عند العرب » أما هذا الكتاب « الحبّ والجمال عند العرب » فقد عثرت اللجنة على أكثر أصوله بخط المؤلف بين ما خلف من مخطوطات لم يقدر لها أن تطبع في حياته . وقد جمع رحمه الله هذه الأصول من مثات الكتب والمخطوطات التي اشتغلت عليها مكتبته . وترك جزازات أشار فيها إلى موضوعات مماثلة في كتب ومخطوطات أخرى كان يعتمز إضافتها إلى الأصول ، فتولّت اللجنة هذه المهمة لتكمل الكتاب على النحو الذي أرادته .

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب : أوّلها في « صفات الحبّ وأغراضه » . وفيه فصول متفرقة أهمّها عن ماهية الحبّ ومعنى الحبّ والمحبوب وعشق الشرف وعشق الجمال وأحلام المحبّين والحبيب الأوّل والحبيب الآخر والحبّ مع اختلاف الدّين
والباب الثاني عن « أنواع الحب » وتندرج تحته فصول عن حبّ الولد وحبّ الأيامي واليتامى ، وأمثال في الحبّ ، وحجة بالغة .

والباب الثالث عن « حبّ الأزواج » وفيه فصول عن زواج النبي من خديجة وحبّها له وتقديره لها وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، على اختلاف ألوانه .

والرابع عن « الشعراء العشاق » وما قيل منهم في معشوقاتهم .
والخامس عن « الحب والجمال » وفيه فصول حبّ امتداح النساء ووصف جمالهن على اختلاف في ألوان الوصف والتشبيه وأسماء النساء .

والسادس عن « الغزل ووصف النساء » .
والسابع عن « العيون وما قيل فيها » نثراً ونظماً مع رسالة في معاني لفظ « العين » وآفة النظر وغائلته .

والثامن عن « تعدد الزوجات والأزواج » وفيه فصول عن حكمة التعدد في الإسلام إلى كشف وجه المرأة في الإحرام .

والتاسع عن « عداوة النساء » وأن طاعتهم تردى العقلاء وتذلّ الأعزّاء .
 أمّا الباب العاشر فحوى « طرائف عن الحب » وفيه فصول عن المرأة بين الحب والمال
 ومن الحبّ إلى الزهد وغيرها من ضروب أخرى إلى محبة الأعداء .
 وإنا لعلّ يقين من أن هذه الأبواب والفصول كلّها - وقد اجتمعت مفصّلة وموضّحة
 في هذا الكتاب الجديد - جديرة بأن تجمله - كما أراد مؤلفه العلامة المحقق المنفور له
 أحمد تيمور باشا رحمه الله - ذا نفع كبير للأدباء والمتأدّبين ولقراء العربية أجمعين ،
 والله وليّ التوفيق .

عبد السلام شهاب

صفات الحب وأغراضه

الحب ما هو ؟

قال أبو بكر الورّاق : سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء ، فتتحرك لإسراقها طبائع الحياة . فيصور من ذلك خلقٌ حاصرٌ للنفس متصل بخواطرها يسمى الحب .

وسئل حمّاد الراوية - عن الحب ما هو ؟ فقال : الحب شجرة أصلها الفسك . وعروقها الذّكر ، وأغصانها السّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها المنيّة .

وقال مُعَاذُ بْنُ سَهْلٍ : الحبُّ أصعبُ ما رُكِبَ ، وأسكّرُ ما سُربَ . وأقطعُ ما لُقِيَ ، وأخلى ما اشتهى ، وأوجعُ ما بطنَ ، وأشهى ما علَنَ . وهو كما قال الشاعر :

وللحبِّ آفاتٌ إذا هي صرّحتْ تبدّتْ علاماتٌ لها غررتْ صُفُوفُ
فباطنُهُ سُفْمٌ وظاهرُهُ جَوَى وأوّلُهُ ذِكْرٌ وآخرُهُ فِكْرٌ

وقال بشار العبلي :

هل تملين وراء الحبّ منزلةً تُدني إليكِ فإن الحبّ أقصاني

وقال غيره :

أحبّك حبّاً لو تُحبّين مثلهُ أصابك مِنْ وَجْدٍ عَلَى جُنُونُ
لطيناً من الأحشاء ، أمّا نهارُهُ فدَمْعٌ ، وأمّا كَيْلُهُ فَاِنِينُ

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، في كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف : الحبُّ أوّلُهُ هزلٌ وآخرُهُ جدٌّ . دَقَّتْ معانيه - لجلالتهَا - عن أن توصف

فلا تدرك حقيقتها إلا بالمأناة . وليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة .
إذ القلوب بيد الله عز وجل .

وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير .

وأفتى ابن عباس بأن قتيل الحب لا دية له . والحب اتصال بين أجزاء النفوس .

وقال الله عز وجل :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... » .
والحب علامات منها : إدمان النظر إلى المحبوب والإقبال بالحديث إليه ، والإنصات
إلى حديثه ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار .

ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه : التعمف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَبَمَةُ
يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَرَجُلٌ قَابَهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ لَا يَلْبَثُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ
اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهُ خَالِيًا فَنَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ فَأَخْفَى حَتَّى
لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تَفِيقُ يَمِينُهُ » .

الحب والمحبوب (١)

قولهم : أحببت حبا : الحب ليس بمصدر لأحبت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب ،
ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول ومن ثم جمع كما يجمع الشغل ، قال : ثلاثة أحباب : فحب
علاقة ، وحب خلان ، وحب هو القتل .

وكلا كان الفعل أعم وأشيع ، لم يكن لذكر مصدره معنى . ولولا كشف الشاعر
لاختلاف أنواع الحب ماكدنا نعرف ما فيه من العموم وأنه - في معنى الشغل كما تقدم .

(١) بدائع الفوائد ص ٨٥ .

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما :

أَحِبُّ أَبامروان من أجل تَمَرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الحُبَّ بالراء أَرْفَقُ
ووالله لولا تَمَرُهُ ما حَبَبْتُهُ وَكان عِياضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل - أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا :
حَبُّ ولم يقولوا : حابُّ أصلاً . وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي - في الأكثر
فقالوا : محبوب ، ولم يقولوا : مُحَبَّبٌ - إلا نادراً كما قال :

ولقد نزلت فلا تظنني غيرةً متى بمنزلة الحَبِّ المسكرم

فهذا من : أحببت - كما أن المحبوب من : حبيت ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في :
المحبوب ، أكثر من استعمالهم إياه في الحب ، مع أنه يطلق عليهما .
فمن محبته بمعنى المفعول قول ابن الدُمَيْنَةِ :

وإن الكتيبَ الردَّ من جانبِ الحمى إلى وإف لم آتِه لَحَبِيبُ

أى : المحبوب . ومن محبته للفاعل - قول الجنون :

أتهجرُ كليلَ بالفراق حبيبها وما كلُّ نفس بالفراق تطيبُ

فهذا بمعنى : محبها . وربما قالوا للحبيب : حِبٌّ : مثل خدن ، نَفْدَنٌ وخَدِينٌ مثل :
حَبٌّ وحبيب . وإذا ثبت هذا فقوله : الحبُّ ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل
بالمحبوب ، وأجروه على الفعل الرباعي استثناءً عن مصدره ، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم
بالحب وألسنتهم به ، فاستعملوا منه أحبَّ المصدرين استثناءً به عن أثقلهما .

فلما كان الحبُّ ملازماً لذكر محبوبه ، ثابت القلب على حبه ، مقيماً عليه لا يروم عنه
انتقالاً ولا يبنى عنه زوالاً ، اتخذله في سويداء قلبه وطناً ، وجعله له سكناً ، حيث
قال :

تزلو الجبال الراسيات وقلبه على المهدي لا يلوى ولا يتغير

وفى شرح لامية المعجم . . للصّبدي :
 فالحبُّ حيثِ العدا والأسدُ رابضةٌ حولِ الكِنَاسِ لها غابٌ من الأسَلِ -
 الحب - بالضم : المحبة ، وبالكسر : الحبيب نفسه . قال ابن الأنباري :
 « الحب هو الحبيب . يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد » . ويحكى عن بعض العرب
 أنهم يقولون : فلانة حبيتي .

عشق الشرف وعشق الجمال

قال عروة بن الزبير رحمه الله : « ما عشقت من امرأة قط إلا أحسن شرفها ، فأتى
 لأعشق الشرفَ كما أعشقُ الجمال » .
 وإنما أراد الحسب ، وصراحة النسب ، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام :
 « ما عشقت من امرأة قط إلا حسبها » .
 وقال كثيرُ الشاعر :
 وأنت التي حببتِ كلَّ قصيرةٍ إلىّ وما تدري بذاك القصائرُ
 ولم يرد : القصيرة القدّ ، وإنما أراد المقصورة في الجمال ، من قولك : قصره ، إذا حبسه .
 والمقصورة هي : المحجوبة . ومنه قول الله تعالى : « حورٌ مقصوراتٌ في الخيام » أي :
 محبوسات . وقوله تعالى : « فيهنّ قاصراتُ الطرفِ » أي : قصرن نظرهنّ على أزواجهنّ
 فلا يبينن بهنّ بدلاً .

ويدلّ على مراد كثيرٍ في بيته ، قوله في البيت الذي بعده :
 عنيتُ قصيراتِ الحجالِ ولم أردُ قصارَ الخطى ، مرّ النساءِ البحائرُ
 والبحائرُ : القصار .

أحلام المحبين

كان أبو القاسم عليّ الشريف المرتضى شاعراً عفاً اللسان، يهوى الحُسن أينما وجدته،
وينحوي فيه منحي طاهراً بريئاً. واشتهر بحبّ الجمال المُذريّ... وقد عشقَ الأدبَ الرفيع،
كما عُمِّرَ فوقَ الثمانينَ عاماً، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفي سنة ٤٣٦ هـ - ومن شعره :

ضَنَّ عَنِّي بِالنَّزْرِ إِذَا أَنَا يَقْظَا نُ وَأَعْطَى كَثِيرَهُ فِي الْمَنَامِ
وَالْتَقَيْنَا كَمَا اشْتَهَيْنَا وَلَا عَيْمٍ بَ سَوَى أَنْ ذَاكَ فِي الْأَخْلَامِ
وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَأَةُ لَيْلًا فَالليالي خَيْرٌ مِنَ الْأَيَّامِ

وقال الشريف الرضي (أخوه) وكان شاعراً مثله يتفق معه في هواه وحبّه وعشقه
للحُسن والجمال :

بِتَنَاجِيٍّ جَمِيعَيْنِ فِي ثَوْبِي هَوَى وَتَقَى يَلْفُنَا الشَّوْقُ مِنْ فَرْقٍ إِلَى قَدَمِ
وَبَاتَ بَارِقُ ذَاكَ الثَّغْرِ يُوضِحُ لِي مَوَاقِعَ اللَّثْمِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

الحبيب الأول والحبيب الآخر

قال حبيب البائي .

نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شَتَّ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلِفُهُ الْفَتَى وَحِينَهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

وقد ردّ عليه شعراء آخرون . فمن ذلك قول بعضهم :

أَفْخَرُ بِأَخْرٍ مِنْ كَلَفَتْ بِحَبِّهِ لَا خَيْرَ فِي حَبِّ الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
أَنْشُكُ فِي أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّماً سَادَ الْبَرِيَّةِ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلٍ ؟

ومنه قول ديك الجن الحمصي :

كذب الذين تحدّثوا أنّ الهوى لا شكّ فيه للحبيب الأول
ما لم أحنّ إلى خراب مقفر درست معاليه كأنّ لم يؤهل

فقال حبيب « حين بلغه قول ديك الجن » :

كذب الذين تخرّصوا في قولهم ما الحبّ إلّا للحبيب الأول
أو طيّب في الطعم ما قد ذقته من ما كلّ أو طعم ما لم يؤكل
قال العلويّ الأصهباني^(١) :

دع حبّ أول من كلفت بحبه ما الحبّ إلّا للحبيب الآخر
ما قد تولّى لا ارتجاع لطيبه هل غائب اللذات مثل الحاضر ؟
إن المشيب وقد وفي بمقامه أوفى لدى من الشباب الغادر
دنياك : يومك دون أمسك فاعتبر ما السالف المفقود مثل الغابر

الحبّ مع اختلاف الدين

قال أبو الطحان الأسديّ ، وكان نديماً لناس من النصارى :

كأنّ لم يكن في القصر قصر مقاتل وزورة ظلّ ناعم وصديق
معي كلّ فضفاض الثياب كأنّه إذا ما جرى فيه المدام فتنيق
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

وللشيخ رجب الحريرى قصيدة يصف فيها حبه لفتى نصرانى يقول فيها :
 أرقُّ من رَوْحِ الصَّبَا وَأَطْيَبُ كَلَاءُ جَسْمًا بِاللِّحَاطِ يُشْرَبُ
 ولفظه السَّخَرُ الحلالُ يطربُ سَكَرْتُ مِنْهُ وَهُوَ مُهْدٍ يَمْدُبُ
 فاعجب لُشْهْدٍ مُسَكِّرٍ مِنْ سِخْرِ
 قابلته بأحسن الكلام مُرَجَّبًا مُعْظَمًا مقامى
 ووجهه الوضاح فى ابتسام وَخَصَنِي بِاللُّطْفِ وَالْإِكْرَامِ
 وبالجميل والحيا والبشر

الحُبُّ فى كُلِّ حال

قال عنتره العبسىُّ به يصف حبه لعملة ابنة عمه ، على ظلمها إياه :
 أَحْبَبْتُ يَاظْلُومُ وَأَنْتَ مَنِّى مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ
 وَلَوْ أَنَّى أَقُولُ : مَكَانَ رَوْحِى لَخِيفْتُ عَلَيْكِ بَادِرَةَ الطَّعَانِ
 وقال بعضهم ، فى الوداع :
 وَدَعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا وَرَحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمٌ
 سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَى إِذْ رَاخُوا . . فَا سَلَّمُوا
 وَاسْتَحْسَنُوا ظِلْمِى فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبُّ قَلْبِى كُلِّ مَنْ يَظْلِمُ
 وقال دعبُلُ الخزامى :

وَقِفْ اهُوَى بِنِى حَيْثُ أَنْتَ فَلَيسَ لى مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
 أَجِدُ الْعَلَامَةَ فى هَوَاكَ لَذِيذَةً حَبًّا لَذَكَرِكِ فَلْيَكُنْى اللُّومُ
 وَأَهْنَتْنِى ، فَأَهْنَتْ نَفْسِى صَاغِرًا مَا مَنِ يَهُونُ عَلَيْكَ عَمَّنْ يُكْرَمُ

حُبُّ النساءِ المالِ

قال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي أَنْسابِ قُرَيْشٍ^(١) : كان « نُبَيْهَةٌ وَأَخُوهُ مِنْهُ » من وجوه قُرَيْشٍ ، وذو النِّبَاهَةِ فِيهِمْ ، وَلَكِنْهُمَا قُتِلَا « بَيْدَرٍ » كَافِرِينَ ، وَكَانَا مِنَ الْمُطِيعِينَ يَوْمَ بَدْرٍ .

لَقَدْ كَانَ « نُبَيْهَةٌ » بَضْمَ النُّونِ وَفَتْحَ الْمُوَحَّدَةِ بِمَدِّهَا « يَاءٌ » سَاكِنَةٌ « فِهَاءٌ » وَكُنْيَتُهُ « أَبُو الزَّرَّامِ » بِتَشْدِيدِ الزَّاءِ الْمُعْجَمَةِ ، ابْنُ الْحِجَّاجِ بْنِ عَامِرِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ سَمِيدَ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنِص « بِالتَّصْنِيرِ » بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ . وَكَانَ نُبَيْهَةً شَاعِرًا مُطْبُوعًا عَلَى الْإِجَادَةِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نَقِيلٍ كَانَ يَقُولُ :

تلك عرساي تنطقان لهجر
وتقولان قول أثر وعثر

فقال نُبَيْهَةٌ مِنَ الْقَافِيَةِ نَفْسَهَا ، فِي زَوْجَتَيْهِ وَقَدْ سَأَلَتْهُ الطَّلَاقَ :

تلك عرساي تنطقان على عم
يد أن اليوم قول زور وهثر
سألتاني الطلاق أن رأنا ما
لى قليلاً . . قد جثتاني بُكْرٍ
فلعل أن يكثر المال عدى
ويعمرى من الغارم ظهري
وترى أعبد لنا وأواق
ومناصيف من خوادم عشر
ونجرج الأذبال فى نعمة ثم
تقولان : ضع عصاك لدهر
وى كأن من يكن له نسب
يحبب سر النجى ولكن
يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر
أخا المال مُحَضَّرٌ كُلُّ سِرٍّ

ومن شعره :

قصر الشيءى ولو كنت ذاماً
ل كثير لأجلب الناس حولى
ولفأنا : أنت الكريم علينا
ولخطوا إلى هواى ومئلى
ولكنك المعروف كيلاً هنيئاً
يُمَجِّزُ النَّاسَ أَنْ يَكِيلُوا كَكَيْلِ

(١) فى خزانة الأدب ج ٣ .

وله أيضاً :

قالت سُلَيْمَى يوم جئتُ أزورها لا أبتنى إلا امرأً ذا مالٍ
لا أبتنى إلا امرأً ذا أنْضُرٍ كيا أسدٌ مفارقٌ وخِلالي
فلا حرصنَّ على اكتسابٍ مُحِبِّبٍ ولا كَسْبَنَ في عَفَقٍ وجمالٍ

في خلاصة الأثر ج 2

كان الأديب حُسَيْن بن أحمد بن حُسَيْن المعروف «بأبن الجَزَرِي» الشاعر المشهور الحلبيُّ أحد المجيدين ، جمع شعره بين الصنّاعة والرِّقّة . كان إذا تكلم لا يظنّه الإنسان يعرف شيئاً ، وكان له خطٌّ نسخيّ غايةً في الحُسْن إلا أنّه كان شديد الأخلاق أحياناً ، وكان مغرماً بشعر أبي العلاء المعرّي ، كثير الأخذ منه ، وأخيراً رآه في منامه وقرأ عليه اللّزوميّات . وسمعه يقرّر في تلك الرؤيا : أنّ الخير كلُّ الخير فيما أكرهتك النفس الطبعيّةُ عليه ، والشرُّ كلُّ الشرِّ فيما أكرهتك النفس عليه .

ومن شعر ابن الجَزَرِي :

إن كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتابُ ربِّ العالمين المرهمُ
أو كنت مصطحباً حبيباً سالكا سُبُلَ الهوى فلزومُ ما لا يلزمُ

ومن شعره في الغزل :

ما عشتُ من ألمِ الفراقِ لو لمْ أُطِلْ أَمَلِ التلاقِ
فأظُلُّ كاللسوعِ من أنفى النوى ، ورجاى راقِ
يا ثالثَ القمرين إلا في الكسوفِ وفي المحاقِ
حتّام دُمعى فيك لا يرقا . . ورؤى في التراقِ
وإلامْ يَسْتَسْقِي الفؤا دُ ظمأً ، وأجفانى سواقِ

وغريق دمع العين لا تلقاه إلا في احتراق
والحب ما أروى الضأو ع جوى ، وما أروى المساق
فمساك أن تجزى موجه
ولقد لقيت هواك أعظم ما لقيت ، وما ألاق
وصبرت فيك على العدا صبر الأسير على الوثاق
وعلمت أن الصبر يا عذب اللمى مر المذاق
فاعرض عن الإعراض إراضى لديك عن النفاق
وارفق ولو بالالتفا ت على ما بين الرفاق
فلقد يكون تلفت الأعتاق دامية العناق
واستبق مئى باللقا ء بواقياً ليست بواق
أعضاء صب ماله إلاك من عينيك وإي
فالبعض سود عيونها أمضى من البيض الرفاق
وقدودهن رواشق في الطمن كالسمر الرشاقي
وإذا بليت بجهن بليت بالدمع المراق
ومن جيد شعره قوله :

تفتدك ساقياً قد كساك ال
تشرق الشمس من يدك ، ومن في
أوليس العجب كونك بدر
فتنة أنت إذ تمت وتحي
لست من هذه الخليقة بل أ
يحسن من فرقك المضى لسياقك
لك الثريا ، والبدر من أطواقك
كاملاً ، والحق من عشاقك
بتلاقيك من تشا ، وفراقك
ت ملكك أرسلت من خلافتك

الحب خضوع النفس

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمرا الأهدل
اليميني الحسيني مشهوراً له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف ، والنظم والنثر ، وقد رحل
إلى كثير من البلدان ، وأقام بالحرمين ، ثم توطن المصنعا ، وحصل له بها شأن عظيم ينبطه
عليه صفوة أصحابه وأترابه ، إذ كان له يد طولى في العلوم الشرعية والفنون العربية ، إلا
أنه غلب عليه التصوف ، كما كان متقناً لعلم الأسماء والحروف ودوائر الأولياء ، حتى إنه كان
زاهداً في الدنيا ، ومن شعره قوله مشطراً فائية ابن الفارض :

قلبي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتَلَفِي عَجَّلَ بِهِ وَلَكَ الْبَقَا ، وَتَصَرَّفِي
قَدْ قُلْتُ حِينَ جَهَلْتَنِي وَعَرَفْتَنِي رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفْ
أَنْتَ الْقَتِيلُ بِأَيِّ مِنْ أَحِبَّتِهِ فَلَكَ السَّعَادَةُ فِي الشَّهَادَةِ يَا وَفِي
وَلَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ النِّرَامَ وَأَهْلَهُ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَصْطَفِي

وقال مخمساً قصيدة ابن النبيه :

رَقِمَ الْمَذُولُ زَخَارِفًا وَتَصَنَّمَ وَأَشَاعَ نَقْصَ الْعَهْدِ عَنْكَ وَشَفَّعَا
فَأَجَبْتَهُ وَالنَّفْسُ تَقْطُرُ أَدْمَعَا أَفْدِيهِ إِنْ حَفِظَ الْهَوَى أَوْ ضَيَّعَا
مَلَكَ الْفَوَادِ فَمَا عَسَى أَنْ أُصْنَعَا

حَكَمَ النِّرَامُ فَلَذَّ بِهِ وَبَحَكِهِ وَابْتُتْ عَلَى مَفْرُوضٍ وَاجِبٍ رَسِمِهِ
وَاخْضَعَ لِمَدَلِّ الْحُبِّ فِيهِ وَظَلَمِهِ مَنْ لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ الْحَبِيبِ كَظَلَمِهِ
حُلُوءًا فَقَدْ جَهَلَ الْحَبَّةَ وَادَّعَى

يَا مَنْ بِلُطْفِ جَمَالِهِ قَلْبِي أَقْتَنَصَ صَبْرِي عَلَى الْأَعْتَابِ مِنْ جِلْدِي نَكْصَ
وَثَبَاتٍ حُجْلِي حِينَ زَمَزَمْتُمْ رَقْصَ

يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَدَارَكَ الْعَمَّ بَرَّ الْجَلِيلِ فَقَدْ عَمَّا وَتَضَمَّنْضَمَّا
وَقَرَّتْ مِنْ نَبْلِ الْأَوَاحِظِ أَسْمُهُى وَكَلَمْتُ أَحْشَائِي وَلَمْ أَنْكَلَمْ

وهجرتني ظُلماً ولم أنظلم هل في فؤادك رحمةً لمُتيم
 ضمت جوانحه فؤاداً موحداً
 إني اعترفتُ بزِلَّتِي وجنَّائِي ورضاك مقصودي وغاية غايِي
 يامن ضلَّالِي فيه عَيْنُ هِدَايِي هل من سبيل أن أثبت صباي
 أو أشتكي بلوأي أو أتضرعاً ؟
 لي في حماك مسارج ومطامح كم بث للفرزان فيه أطراح
 يا قلبُ إن اليومَ طيبك نازحُ ياعينُ عُذْرُك أن حُي واضحُ
 كُلي لفرقتيه أراد وأزماً

أشقى الناس أهواها

زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي ، ولد بحلب ونشأ بها وكان
 له مذاكرة تأخذ بلُبِّ الصاحب ومحاضرات وتُغبُّ من محاضرات الراغب ، وله شعر
 قصير منه قوله :

كتبت وأفسكاري بحبك مُزَّقتُ كما قد بدت في الحب كل ممزق
 ولو حُمَّ لي التوفيق كفت تركته ولكنني أصبحت غير موفق
 إذا قيل أشقى الناس من بات ذا هوى فلا تفكرون هذا المقال وصدق

وقال متنزلاً :

سألتها عن فؤادي أين مَسْكَنُهُ فإنه ضلَّ عني عند مسراها
 قالت : لدى قلوب جمعت فأياها أنت تبني ؟ قلت : أشقاها

رابعة العدوية

روى ابن خلسكان قصة « رابعة العدوية » شهيدة الحب الإلهي ، قال :
 كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية ، مولاة آل عتيك ، من أعيان
 عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة .
 وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة » أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي .. أتحرق
 بالنار قلباً يحبك ؟ ... فهتف بها مرة هاتفت : ما كنا نفعل هذا فلا تظني بنا ظنّ السوء !
 وكان سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عندها يوماً ، فقال : واحزنه ! فقالت له : « لا تكذب ، بل
 قل : واقلة حزنه ! . لو كنت محزوناً لم يهياً لك أن تتنفس .
 وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة العدوية ، فرأيته في المنام تقول : هدايك ثانياً على
 أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور .

وكانت تقول : ما ظهر من أعمالى فلا أعدّه شيئاً .
 ومن وصاياها : اكنموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم .
 وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي - في كتاب « عوارف المعارف » قولها :
 إني جعلتُك في الفؤادِ محدثي وأبختُ جِسمي من أرادَ جلوسي
 فاجلسُ مني للجلوسِ مؤانسٌ وحبيب قلبي في الفؤادِ أنيسي

الحب أحسن المعاصي

في « لوعة الشاكي ودمعة الباكي » لابن الصفي :
 انتصف الليل ، وأقبلت عساكرُ السعد بالرجل والخيل ، فأمرت صاحبي برفع الدمام ،
 وتجهيز المرقد للنام ، ورفع الأواني في الحال ، وأقبل على ذلك الشان وطلال ، وعلق في المرقد
 نفحات المسك الأذفر ، وأطلق فيه مباخر الند والنبير . ثم قال : أين ترسم لي أن أبيت ؟

فقلت : ثم عندنا لكن خارج البيت ، فأنت ممن تحققنا منه المروءة والشفقة ، فأخرج عناور
الباب بالحلقة. ففعل ما أمرناه وخرج ، ولم يبق في الصدر هم ولا حرج فقلت لمحبوبي : أما تقوم
بنا لننام ، وأتعم بتقبيل الثغر واعتناق القوام ، فقال لي : أقوم ولكن العناق حرام ، فقلت :
في عنق تكون الأوزار والآثام :

فقام ينهضُ والصَّهْبَاءُ تُقَعِّدُهُ سُكْرًا وَحَاوِلَ أَنْ يَسْمَى فَلَمْ يُطِيقْ
وقال لي بفتورٍ من لواحظه إن العناقَ حرامٌ قلتُ : في عنق
فقال : استغفر الله من الفجور واللفظ ، ومن وقوعك أيها الإنسان في النلط .

فقلت : لا تظن أن محبتك من المعاصي والسيئات ، واعلم أن هواك من أفضل الفضائل
وأحسن القربات .

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا مِنْ مَعْصِيَتِكَ فَإِنَّهَا حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقَاءِ
فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحَبَّ مَعْصِيَةٌ فَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُمَصُّ بِهِ اللَّهُ

الهوى قدر

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش . قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد
قال : سألت أبا الفضل الريثي عن معنى قول الشاعر :

الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة

فقال : هو عندي كقولهم : ويل للشجي من الخلي . ومعناه : إن البرق يضحك
والريح تبكي .

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكي شجوها ، والبرق يبكي أيضاً وهو يلمع
في الغمامة .

وأنشدنا أبو بكر الأصماني لنفسه :

إِلَّا تَكُنْ فِي الْهَوَىٰ أُرْوَيْتَ مِنْ ظَمًا
لَقَدْ دَلَّتْ عَلَى أَنْ الْهَوَىٰ بَدَلُ
فَحَسْبُ نَفْسِي غِنَىٰ عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا
وَأَنْتَ خَالٍ وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتْ
إِنِّي وَغَلَّةُ نَفْسِي فِيكَ قَائِمَةٌ
وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارٍ لِي فَأَتْرَكُهُ
لَكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُمْتَنِعٌ
لَنْ يَضْبُطَ الْعَقْلَ إِلَّا مَنْ يَدْبُرُهُ
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا وَابْقَ لِي أَبَدًا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا :

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَا تُجَازَى
فَالِ أَهْوَنُ الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا
عَمِدْتُ سَنِينَ أَسْتَخْفِي التَّصَابِي
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى
تَبْغِضَ مَا اسْتَطَعَتْ وَعَشْ سَلِيًّا

وَلَا فَكَنْتَ مِنَ الْأَغْلَالِ مَأْسُورًا
مِنْ أَجْلِ مَا كَانَ مَرْجُوءًا وَمَحْذُورًا
مِنْ الْهَوَىٰ وَبِأَنِّي كُنْتُ مَعْدُورًا
هَوَاهُ نَفْسُكَ إِكْرَاهًا وَتَخْيِيرًا
لَمْ تَلَقْ مُذْ أَلْفَتَكَ النَّفْسُ تَغْيِيرًا
وَلَا اضْطِرَارٍ أَتَاهُ الْقَلْبُ مَقْهُورًا
فِي الْوَصْفِ قَدَرُهُ الرَّحْمَنُ تَقْدِيرًا
وَلَنْ تَرَىٰ لِلْهَوَىٰ فِي الْعَقْلِ تَدْيِيرًا
تَكُنْ لَدَيَّ عَلَى الْحَالَيْنِ مَشْكُورًا

وَتَسْلُكُ فِي الْهَوَىٰ سَنًا سَوِيًّا
عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ أَكْرَمُهُمْ عَلِيًّا ؟
وَلَا أَرْضَىٰ مِنَ الْوَصْلِ الرِّضِيًّا
خَسِيسْتُ عَنْ أَنْ أَحْبَبِي أَوْ أَحْيَا
فَأَنْتَ أَحَبُّ مَخْلُوقٍ إِلَيَّا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْغَادِي لَطِيفَتِهِ
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدِ أَلَمِّ بِهِمْ
حَسْبِي رِضَاهُ ، وَأَنَّى فِي مَحَبَّتِهِ

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه :

إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدُهُ لِقَلْبِهِ
فَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبٌ فَقَلْبُهُ

عَرَّجَ أَنْبُتُكَ عَنْ بَعْضِ الَّذِي أَجْدُ
إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدُوا
وَوَدَّهَ آخِرَ الْأَيَّامِ أَجْتَهْدُ

وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ
هُوَ النَّصْلُ ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِهِ فَضْلُ

أنواع الحب

ضروب المحبة (١)

المحبة ضروبٌ: أفضلها محبة المتحايين في الله ، ثم محبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب . ومحبة التصاحب والعرفة . ومحبة البر يصنعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحايين لسر يجتمعان عليه ويلزمهما ستره . ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق الناشئة عن اتصال النفوس .

حب الولد (٢)

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسما ظليلة . فإن طلبوا فأعطيهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك . فقال معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت على وإنني لمأوى غضباً على يزيد ، فسلته من قلبي .

فلما خرج الأحنف من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

وكان عبدالله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب ، حتى لامه الناس فيه فقال : يلوموني في سالم ، وألومهم وجلدة بين العين والأنف سالم . وقال : إن ابني سالماً ، ليحب الله حباً لو لم يخفه ما عصاه .

(١) في كتاب طوق الحاماة في الألفة والألاف لابن حزم (٢) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ .

وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داودَ كلَّ مذهبٍ حتى قال يوماً : أئمة الحديث أربعة ، كان عبدُ الله ، ثمَّ كان علقمةُ ، ثمَّ كان إبراهيمُ ، ثمَّ أنتُ يا داودُ .
وقال : تزوجتُ أمَّ داود ، فما كان عندنا شيءٌ أُلْفُهُ فيه حتَّى اشتريتُ له شِكْوَةً بِدَانِقٍ .

وقال زيد بن عليٍّ لابنهِ : يا بُنَيَّ ، إنَّ الله لم يَرْضَكَ لى فأوصاك بى ، ورضيتنى لك فحذَّرَنيك ، واعلم أنَّ خَيْرَ الآباءِ للأبناءِ منْ لم يدعُهُ التَّدْلِيلُ إلى التَّفْرِيطِ ، وخَيْرَ الأبناءِ للآباءِ منْ لم يدعُهُ التَّقْصِيرُ إلى العُقُوقِ .

وفى الحديث المرفوع : « رِيحُ الوَلَدِ من رِيحِ الجَنَّةِ » . وفيه أيضاً : الأولادُ من ريحانِ الله .

وقال النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لما بُشِّرَ بِفاطمة : « رِيحَانَةُ أَشْمَهَا وَرُزْمَا عَلَى اللهِ » .

ودخل عمرو بن العاص ، على معاويةَ وبين يديه بنته عائشةُ . فقال : من هذه ؟ قال : هذه تَفَاحَةُ الْقَلْبِ . فقال له : انبذْهَا عَنْكَ ، فوالله إِنْهُمْ كَيْلِدُنَ الْأَعْدَاءِ ، وَيُقَرِّبُنَ الْبُعْدَاءِ ، وَيُورِثُنَ الضَّعَّائِنَ .

فقال له معاوية : لا تقتلِ ذاك يا عمرو : فوالله ما مَرَضَ الْمُرَضِيُّ ، وَلَا نَدَبَ الْمَوْتِيُّ ، وَلَا أَعَانَ عَلَى الْأَحْزَانِ مِثْلُهُنَّ . وربَّ ابنِ أُخْتٍ قد نَفَعَ خَالَهُ .
وقال المَعْلَى الطَّائِي :

لَوْلَا بُنَيَّاتُ كَزْغِبِ الْقَطَا يَرُدُّنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لى مُضْطَرَبٌّ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا يَبِينُنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
وكانت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تُرَقِّصُ الْحُسَيْنَ بنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وتقول :

إِنَّ بُنَيَّ شَبَهُ النَّبِيَّ أَيْسَ شَبِيهَا يَمَلِّي

وكان الزبير بين العوام يرقص عُرْوَة ابنه ويقول :
أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
التدُّه كما الله ربق

وقال أعرابي يرقص ولده :
أعرف منه قلة النعاس وخفة من رأسه في راسي
وقال عبد الملك : أضربنا في الولد حُبنا له ، فلم نُؤدِّبه ، وكان الوليد أدبنا (١) .

* * *

حب الأيامي واليتامي

من بديع أخبار الحكم أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر ، فلما نزل بوادي الحجارة ،
سمع امرأة تقول : واغوثاه بك يا حكم ، لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمنا
وأيمنا . فسألها عن شأنها . فقالت : كنت مُقبلَةً من البادية في رِفقة ، فخرجت علينا خيلُ
عدوٍ فقتلت وأسرت ، فصنع قصيدته التي أولها :

تمكملت في وادي الحجارة مُسندًا أراعي نجومًا ما يرينَ تَغَيَّرًا
إليك أبا العاصي نصبتُ مطيحي نسير بهم ساريا ومهجرًا
تدارك نساء العالمين بُنصرة فإنك أحرى أن تُغيثَ وتُنصُرًا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه ،
فأنفَ ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد ، فخرج بعد ثلاث إلى وادي الحجارة ، ومعه
الشاعر . وسأل عن الخيل التي أغارت من أي أرض العدو كانت ؟ فأعلم بذلك ، فنزا
تلك الناحية ، وأئخَنَ فيها ، وفتح الحصون والديار ، وقتل من العدو عددًا كثيرًا . وجاء
إلى الوادي فأمر بإحضار المرأة ، وجميع من أسره له أحد في تلك البلاد ثم أمر بضرب

(١) يريد بالوليد ابنه « الوليد بن عبد الملك » . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ١٦٢ .

رقاب الأسرى بحضرتهم ، وقال للعباس : سلها هل أغاثها الحكم ؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة : والله لقد شفى الصدور ، وأنكى العدو ، وأغاث الملهوف ، فأغاثه الله وأعز نصره .

فارتاح لقولها ، وبدا السرور في وجهه وقال :
ألم تر يا عباس أُنِّي أُجِبُّهَا عَلَى الْبُعْدِ أَقْتَادَ الْحَيْسِ الْمَظْفَرَا
فَأَدْرَكْتُ أَوطَارًا . وَأَجْرَدْتُ غُلَّةً وَنَفْسْتُ مَكْرُوبًا وَأَغْنَيْتُ مُعْسِرًا
فَقَبِلَ عَبَّاسُ يَدَهُ وَقَالَ : نَعَمْ ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الْمُسْلِمِينَ .

* * *

أمثال في الحب (١)

قول لسان الدين الخطيب :
أصناف المحبين والعشاق كثير ، بحيث يشق إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم . كما أورد
أبياتاً من قصيدة أبي فراس الحمداني ، التي يقول فيها :
تَسْأَلُنِي : مَنْ أَنْتَ ؟ وَهِيَ عَلِيْمَةٌ وَهَلْ بَقِيَتْ مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرُ
فَقَالَتْ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا الْهَوَى قَتِيلُكَ ، قَالَتْ : أَيُّهُمْ فَهْمٌ كَثُرُ ؟
وفي هذا تنبيه النفوس الصعبة ، على حكم المحبة ، « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَا
مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ » .
ثم قال المؤلف : « وهذه حكيم تجرى مجرى الأمثال : المحبة بحرٌ بعيد الشط ، والفناء
مُنْتَهَى الْخَط . المحبة مهوى من بعيد ، ومجالٌ وعيدٌ ووعيد .
المحبة تظهر لا يركبها من يرى الموت فيتنكبها . كم قصص المحبة من ظهر ، وكم سير
صوت إلى قهر . »

(١) في نفع العليبي ج ٢٩ أورد المؤلف قول لسان الدين الخطيب .

حجة بالغلة

قال ابن السُّبُكِيِّ رحمه الله تعالى :

قالتُ : أَلَا لَا تَلِجَنَّ دَارَنَا	إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَايِرُ
قلتُ : فَإِنِّي حَاضِرٌ . . زَائِرًا	وَلَا يُبْلِمُ الزَّائِرُ الْحَاضِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّيْثَ حَادٍ بِنَا	قلتُ : فَسَيَفِي مَرْهَفُ بَاتِر
قالتُ : فَإِنَّ الْقَصْرَ مِنْ دُونِنَا	قلتُ : فَإِنِّي فَوْقَهُ طَائِرُ
قلتُ : فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ بَيْنِنَا	قلتُ : فَإِنِّي سَابِجٌ مَاهِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِنَا	قلتُ : نَعَمْ ، وَهُوَ لَنَا غَافِرُ
قالتُ : فَحَوِّلِي إِخْوَةَ سَبْعَةٍ	قلتُ : فَإِنِّي كَأَنَّهُمْ حَاضِرُ
قالتُ : لَقَدْ أَعْيَيْتِنَا حُجَّةً	فَأَتِ إِذَا مَا هَجَعَ السَّامِرُ
وَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْقُوطِ النَّدَى	لَيْلَةً لَا نَامُ وَلَا آمِرُ

حب الأزواج

زواج النبي من خديجة (1)

قال صاحب كتاب « سنا المهتدى »

أهل السيرة مختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم مشى هو وعمه حمزة بن عبدالمطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك . وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد . قال المبرّد : وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان ممّا قال فى تلك الخطبة : « أمّا بعد ، فإنّ محمداً ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلًا وفضلًا وعقلًا ، وإن كان فى المال قِل ، فإنّ المال ظلّ زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » . فقال عمرو : هو الفحل لا يقرع أنفه ، فأنكحها منه . ويقال : قاله ورقة بن نوفل . والذى قاله المبرّد هو الصحيح لما رواه الطبرى عن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس ، وعن عائشة . قال : إنّ عمرو بن أسد هو الذى أنكح ابنة أخيه خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن خويلدًا هلك قبل ذلك .

وذكر الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذى كان يتجرّ معه فى مال خديجة : هلم - فلنتحدث عند خديجة ، وكانت تكرمهما ، فلما قاما من عندها ، جاءته جويرية لها وقالت له : جئت خاطبًا يا محمد ؟ قال : كَلّا . فقالت : ولم ؟ فوالله ما فى قريش امرأة وإن كانت خديجة - إلّا تراك كفؤًا لها . فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطبًا لخديجة مُستخياً منها .

حب خديجة للنبي وتقديره لها

لقد من الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه : « يَجِبُهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ ، لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَيْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ » .
وقد شاعت إرادة الله أن ينشأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نشأة كريمة طاهرة ، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة ، والبعد عن صفائر الأمور ، فاشتهر بالصدق الأمين . وقد سمعت خديجة وهي سيدة من نساء العرب به ، ورغبت في أن يتجر بها لها فكان نعم التاجر الصدوق المؤمن ، وربحت التجارة كثيرا ، لما اتصف به عليه الصلاة والسلام من خلق عظيم ، وقلب رؤوف رحيم .

وكان يصنحبه خادمها « ميسرة » . . . الذي شاهد بأشاهد من طيب الخلال ، والصدق في الأقوال ، والإخلاص في الأعمال . وقص الخادم على سيده ذلك . ومن ثم آتست في سيدنا محمد صفات كمال الرجال ، فعرضت عليه أن يتزوج بها ، فوافق شاكراً راضياً . ولقد كان يخطبها أكبر سادة العرب وجلة ساستهم فلم ترض بواحد منهم .

وكانت على جانب عالٍ من السباحة وجمال الخلق والخلق معاً ، وكان هو صلوات الله عليه وسلامه ، يبلغ الخامسة والعشرين ، وتكبره بخمسة عشر ربيعاً . وصادف هذا الزواج المبارك ، بل حاله التوفيق واليمن ، فكانت نعم الزوجة الحبيبة الوفية الأمينة المخلصة .

وبينما كان يتحدث في غار ثور ، نأياً عما كان عليه شباب العرب ، حان ظهور جبريل عليه السلام لأول مرة ، وقال له : اقرأ . فأجابه النبي : ما أنا بقارئ . فضم إليه ثم أرسله ، وأعاد عليه أخرى . وفي الثالثة : نزلت السورة :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول : « زملوني » وسرد عليها روايته ، فهدأت روعه بعد أن اختبرت حالته ، إذ خشيت عليه سوءاً فقالت : والله لن يخرريك الله أبداً .

إنّك تصل الرحم ، وترحم الأرامل والأيتام ، وتؤوى الضعفاء والمساكين . ثمّ رأت أخيراً أن تعرض أمره على ابن عمها ورقة بن نوفل ، الكاهن . . . فبشره بأن هذا هو الناموس الذى ينزل على أنبياء الله ورسله ، وسيكون له شأن عظيم !

ولقد عاشت خديجةُ رسول الله قبل الرسالة خمسة عشر عاماً ، حتّى بلغ الأربعين ، معاشرةً كلهاً الحب والوفاء . وعاش معها حياة العزة والكرامة والاطمئنان . وكم كانت ترفع من مكانته وهو الرافع المكانة . فتقول : « كلّ شيء ملك محمد ، ليس لي فيه شيء » ، فهو صاحب الأمر والنهي . . . ولبثت معه ثمانية وعشرين عاماً ، فى أتمّ وأكمل ما يتصوره العقل الذكي واللبّ الحكيم . إلى أن اختارها الله لجواره ، ولحقت بالرفيق الأعلى .

ولقد كانت أول من آمن به من النساء ، وكم حزنَ عليها سيدنا محمد صلوات الله عليه حزناً شديداً ، حتّى ذكر عام وفاتها بعام الحزن . وما زال ، عليه الصلاة والسلام ، يذكرها بالخير والثناء بعد رحيلها ، ولم يتزوج عليها قطّ . فما إن كان بمجلس مع عائشة الصديقة بنت الصديق وتذكر أن فلانة كانت حبيبة خديجة ، حتّى قال : أعطوها وأكرموها . فنارت عائشة قائلة : أولم أكن يارسول الله - أنا البكر - خيراً منها . فغضب وتغيّر وقال والله يا عائشة ، ما عاد لها من النساء أحدٌ ، لقد أمدتني فقيراً ، وأكرمتني معاشراً ، وملأت على أركان حياتي أنسا وسودداً . قالت عائشة : وقد أقسمت بحقه وحبه ألا تذكرها إلا بخير .

خير متاع الدنيا المرأة الصالحة

قال صلى الله عليه وسلم : « تزوّجوا الولودَ والدودَ من النساء ، فإنى مكثر بكم الأمم يوم القيامة » .

وقال أيضاً : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة فى مسجد البصرة فقال : أبنى امرأة . فقيل له : ما صفتها ؟ قال : أريدها بكرةً كثيب ، أو ثيباً كبيراً ، حلوة من قريب ، نعمة من بعيد ، كانت فى نعمة وأصابها حاجة ، ففيها أدب النعمة وذل الحاجة ، إذا اجتمعنا كفا أهل دنيا وإذا افترقنا كفا أهل آخرة .

السيدة سكينة بنت الحسين

كانت سكينة بنت الحسين^(١) سيدة نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً . وتزوجها مصعب بن الزبير - فأت منها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ، فولدت له قريناً ، ثم تزوجها الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول . ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها لعدم قدرته على الوفاء بما عاهدها عليه من ألا يدخل معها غيرها من النساء ، فلم يسمع إلا الإذعان لأمر سليمان . ولا اعتبار بضعف إرادته باتصاله بغيرها من الجوارى صارت طالقاً . فطلقها ..

وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا . وقيل أيضاً إن الطرة السكينية منسوبة إليها . ولها نوادر وحكايات لطيفة مع الشعراء وغيرهم . من ذلك ما يروى من أنها ناظرت عروة بن أذينة - من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله أشعار رائقة ، فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي ذهبت نحو سقاء الماء أبتد
هني بردت ببر الماء ظاهره فمن لئار على الأحشاء تنقد ؟

فقال لها : نعم - فقالت : وأنت القائل :

قلت وأبتثتها سرى وبخت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألسنت تبصر من حولي ؟ فقلت لها غطى هوالك وما ألقى على بصري

والسيدة سكينة ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين ، كانت أمها الزباب بنت امرئ القيس الكلبيه . وقد تزوجها عبد الله بن الحسن - وهو أبو عذرتها - فأت منها - ويقال قتل مع الحسين - فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنة فأرسل إليها : سميها زبراء ، قالت : أسميها باسم إحدى أمهاتي ، فسمتها خديجة أو فاطمة . فأت ابنتها من مصعب ورحل إلى العراق فقتل عنها .

(١) ابن خلكان ج ١ .

وخطب سكينه عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : والله لا أزوجه منه أبداً وقد قتل ابن أختي - تعني مصعباً - فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام - وأم عبد الله بن عثمان رملة ابنة الزبير بن العوام - فولدت له سكينه ابناً يقال له قرين ، وحكيماً ، وابنة . ويقال ابنتين . فمات عنها ، فتزوجها الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلم نغرق في الصداق ، طلقها . فطلقها ، فقال أيمن بن خريم :

نكحت سكينه في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فانت الرابع
إن البقيع إذا تتابع زرعه خاب البقيع وخاب فيه الزارع

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان - فأصدقها صداقاً كثيراً واشترطت عليه ألا يعصى لها أمراً ولا يغيرها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل إليها ، وأن يقيمها حيث رغبت ، فتزوجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيد بن عمرو ، إنك شرطت لسكينه ألا تطأ جارية ، وعندك أمثالها . وأنا أعلم أنك لا تصبر ، وأنت قد وطئت بمضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع الوفاء بها ، وقد حرمت عليك سكينه . فطلقها زيد ، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم ابن هشام ، فقال له : انطلق فادخل على أهلك ، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شرساً كثير الشر - لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حيناً بعد زيد لا تخطب - فقالت لها مولاتها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكروننا . فأجابتها : أما والله لأجعلن لهم حديثاً . وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له : كيف أنت إن تزوجتكم ؟ قال تجدينني خير الناس .

وكانت ظريفة عفيفة ، وأدبية فصيحة ، فوق ما امتازت به من إشراق الحياء ، وسماحة الخلق ، وملاحة الخلق . فقيل لها : يا سكينه ، أخفك ناسكاً وأنت مزاحاة قالت : إنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام ^(١) .

(١) أختها فاطمة بنت الحسين ، سميت باسم جدتها فاطمة الزهراء ، وسميت سكينه بنت الحسين باسم أمنة جدتها أم الرسول صلوات الله وأزكى سلامه عليه .

ولقد شبّب الفرزدق بها ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه والياً على المدينة
فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير في ذلك :
نَفَاكَ الْأَغْرُابُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِحَقِّكَ تَنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ
وطافت سكينه بنت الحسين - رضى الله عنهما - فلما انتهت إلى الركن اليماني أعت
في أول طواف ، ونظر إليها العرجي ، فقال :
يَقْمُدَنَّ فِي التَّطَوَّافِ آوَنَةً وَيَطْفُنَّ أَحْيَانًا عَلَى قَتَرٍ
حَتَّى اسْتَلَمَنَّ الرُّكْنَ فِي أَنْفٍ مِنْ لَيْلِمِنْ يَطَّانَ فِي الْأَذْرِ
فَفَرَّغْنَ فِي سَبْعٍ وَقَدْ جِهَدَتْ أَحْشَاؤُهُنَّ مَوَائِلَ الْخُمْرِ
فسمعت شعره امرأة ووصفته لها ، فحفظت الشعر ، وقالت : « لو أن الرجال طُفِنَ سَبْعًا
لجهدت أحشأؤهن » .
وكانت سكينه - رضى الله عنها - على جانب وافر من الخلال الطيبة فوق ما امتازت به
من كريم المحمّد ، ودماثة الطبع والجمال .

عاتكة بنت زيد

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة .
فأحبّها ، فكان ربّما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها ، لما اتصفت به من حسن الصورة
وسماحة الخلق . وكانت عبلة الجسم ، مكتنزة اللحم ، على قسط وفير من العلم والأدب ،
والمعرفة بالشعر ، ممّا دعا عبد الله إلى الانشغال بها . فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها
قائلًا له : قد فتنتك عن دينك ، وشغلتك عن معشيتك ، فطلقها وقال :

وَلَمْ أَرْ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جَرَمٍ تَطَلَّقُ
لَهَا خُلُقٌ سَمِيعٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ وَخُلُقٌ سَوِيٌّ فِي الْحَيَاءِ وَمَصْدُقٌ
أَعَاتِكَ ، لَا أُنْسَاكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا نَاحَ قَرِيئُ الْحَمَامِ الْمَطْوِقُ

أعانتك لا أنساك ما حجج راكب^١ وما لاح نجم^٢ في السماء^٣ مُجَلَّتْ
أعانتك ، قلبي كل يوم وليلة إليك بما تخفي النفوس معلق^٤
ولولا اتقاء الله في حق والد^٥ وطاعته ما كان منا التفرق^٦
فبلغ أبا بكر شعره فأمره فراجعها ، وكانت عنده حتى مات شهيداً ، أصابه سهم
في حصار الطائف فانتقض به جرحه فمات ، فقال لعائكة حين احتضر : لك حديقة من مالى
ولا تزوجي . فقبلت ذلك . وقال حين راجعها :

أعانتك ، قد طَلَّقت عني بُعْصَةً وراجعت للأمر الذي هو كائن^٧
كذلك أمر الله غادر^٨ ورائح^٩ على الناس فيه ألفة^{١٠} وتباين^{١١}
وقد كان قلبي للتفرق طائراً وقلبي لما قد قرب الله ساكن^{١٢}
أعانتك إني لا أرى فيك سقطة^{١٣} وإنك قد حلت عليك المحاسن^{١٤}
وإنك مما زين الله أمره وليس لما قد زين الله شائن^{١٥}
فمات عبد الله وترك سبعة دنانير ، فقال أبو بكر : إنا لله ، كيف يصبر ابني على سبع
كيات^(١) فلما مات عبد الله ، قالت عائكة ترثيه :

فُجِعتُ بخير الداس بعد نبيهم^{١٦} وبعد أبي بكر ، وما كان قصراً^{١٧}
فأليت لا تنفك عيني سَخِينَةً^{١٨} عليك ولا ينفك جِلْدِي أَعْبَرَا^{١٩}
مدى الدهر ما غنت حمامة^{٢٠} أيكـة^{٢١} وما طرَدَ الليلُ الصباحَ المنورَا^{٢٢}
فليله عينا من رأى مثله فتى^{٢٣} أكرَّ وأحمى في الجهادِ وأصبرَا^{٢٤}
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها^{٢٥} إلى الموت حتى يترك الرُمحَ أحمرَا^{٢٦}
ثم ما لبثت أن خطبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت : إني قد جعلت على نفسي
ما لا أقدر معه على التزويج . فقال : استفتي ابن أبي طالب رضى الله عنه . فاستفتته فقال
رُدِّي عليهم ما أخذته منهم وتزوجي . فردَّت الحديقة ، فتزوجها عمر . رضى الله عنه .

(١) يعنى بذلك جزاءه على ما اكتنز من الدنانير « يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم . . . »

فلما دخل بها أولم ، فدنا على رضى الله عنه من خدرها وقال :
فأليت لا تنفك عيني سخيصة عليك ولا ينفك جلدى أغبراً
فبكت ، فقال عمر : ما أردت إلا أن تُفسد علينا أهلاًنا .

ويقال : قال هذه المقالة عبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قُتل عُمر قالت :
وفجعتنى فيروز لادر دره بأبيض تال للقران منيب
روؤف على الأذنى غليظ على العدا أخی ثقة في السائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب
وقالت :

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملّ على الإمام النجيب
فجعتنى المنون بالفراس المة دم يوم الهياج والتذيب^(١)
عصمة الناس والمؤمن على الدهر ر وغيث المنتاب والمحروب
قل لأهل الضراء والبأس : موتوا قد سقته المنون كأس شعوب
نخطبها طلحة بن عبيد الله ، فشى في أمرها هبار بن الأسود ، فأفسد عليه ، فتزوجها
الزبير بن العوام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد ، فقالت : أتهانني عن الخروج إلى
الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنوا إماء الله من مساجد الله » فأعرض عن
ذلك أياماً ، ثم قعد لها في طريقها ليلاً ، فلما مرت به ضرب عجزتها بيده . وكانت عزيمة
المجيزة جميلة - فرجعت إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءة إن الله . وترك الخروج ،
فقال لها الزبير : مالك تركت الصلاة في المسجد ؟ فقالت : قد فسد الناس أبا عبد الله .
فقتل عنها ، فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير ممرّد
يا عمرؤ لو نهته لوجدته لاطشاً رعى الجنان ولا اليد
شلت يمينك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتممّد

(١) إكثار الذب والدفع . وفي الأغاني التليپ .

ثم خطبها على بن أبي طالب رضى الله عنه فقالت : إني أشفقُ عليك من القتل ،
لم أتزوج رجلاً إلا قُتِل ، فتزوجها محمد بن أبي بكر فخرجت معه إلى مصر ، فقتل ومثّل به ،
فكانت :

لَيْنٌ تَقْتُلُوا أَوْ تَمُوتُوا بِمُحَمَّدٍ فَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ وَلَا الْخَيْرِ^(١)
فتزوجها عمرو بن العاص .

وروى أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - حدث مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد » فقال ابن له : لا تدعهن يخرجن فيتخذنه دغلاً . فزجره وقال له : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تقول : لا تدعهن ؟ !

وذكر أبو بكر الخرائطي رحمه الله في كتاب « اعتلال القلوب » قال : كانت عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند الزبير بن العوام رضى الله عنهما - فاستأذنته في الخروج إلى المسجد ، فشقّ عليه ذلك وكره أن يمنعه . فأذن لها ، ثم انكمن لها في موضع مظلم من الطريق ، فلما مرّت عليه وضع يده على بعض جسدها ، فسكرت راجعة وسبقها الزبير إلى الدار ، فلما دخلت عليه تسبح ، قال لها : ماردك عن وجهك ؟ قالت : كنا نخرج والداس ناس ، وأما اليوم فلا ، وتركت طلب المسجد .

زواج امرئ القيس

نقل الجرجاني في كتاب « الكنايات » عن كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأنصباني ، أن عبد الملك بن عمير قال : آلى امرؤ القيس بن حجر ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن « ثمانية وأربعين » فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر . . . فبينما هو في جوف الليل إذا هو برجل - معه ابنة صغيرة له كأنها البدر لمتها ، فأعجبته فقال لها :

(١) يقال : مثل به يمثّل مثلاً ، مثل : قتل يقتل قتلاً ، ومثّل به تمثيلاً : إذا نكّل به .

يا جارية ، ما ثمانية وأربعة واثنتان ؟ قالت : أمّا ثمانية فأطباء الكلبة ، وأمّا أربعة فأخلاف الناقة ، وأمّا اثنتان فتدنيا المرأة . فخطبها من أبيها ، فزوجه إياها وصرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فأجابها موافقاً ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ثمّ إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نَحْيَا من سمن ، ونَحْيَا من عسل ، وحلة من قصب ، فنزل العبد في بمض المياه فلنشر الحلة فلبسها ، ثمّ أتاها - وهي خauf - فسألها عن أبيها وأمّها وأخيها ، ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعلمُ مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أمي ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأن أخي يراعى الشمس ، وأن سماء كم انشقت ، وأن وعاءكم نضب . فقدم الغلام على مولاها فأخبره ، فقال : أمّا قولها ذهب يبعد قريباً ويقرب بعيداً فإن أباه ذهب يخالف على قومه ، وأمّا قولها ذهبت تشقّ النفس نفسين فإنّ أمّها ذهبت تقابل نفساء ، وأمّا قولها أخي يراعى الشمس فإنّ أخاه في سرح له يرعاه ، وأمّا قولها : إن سماء كم انشقت فإنّ البرد الذي بعثت به انشق ، وقولها : إن وعاءكم نضب فإنّ النّحيين اللذين بعثت بهما نقصا . فاصدقني ، فقصّ عليه الغلام القصة .

ثمّ إن امرأ القيس ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعه الغلام ، فقام الغلام يسقي الإبل ، فعبّز عنها ، فأعانه امرؤ القيس . فرى به الغلام في البئر ، وخرج حتّى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقيل لها : قد جاءك زوجك . فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ . ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا وأكل ، ثمّ قالت : اسقوه لبناً خائراً أي حامضاً - فشرب فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : إنّني أريد أن أسألك فقال : سليني عما شئت . فقالت : ممّ تختليج شفتاك ؟ فقال : لتقبلي إياك . قالت : فممّ يختليج فخذاك ؟ فقال : لتورّكي إياك . قالت : عليكم فشذوه وثاقاً ، ففعلوا .

واجتاز قوم بامرئ القيس فأخرجوه من البئر ، فرجع إلى خبيّه وساق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ ولكن

انحروا له جزوراً وأطعموه من كرمها وذنبا ففعلوا . فلما أتوه بذلك - قال : فأين الكبدُ
والسنامُ واللحى ؟ ! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خائراً . فأتى به ، فأبى أن يشربه
وقال : أين الضريب والريبة ؟ ! فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام . وقال :
افرشوا لى على القلعة الحمراء ، واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلمَّ فسرطنى عليك
فى المسائل الثلاث ، فأرسل إليها : أن سلى عما شئت . فأرسلت إليه : ممَّ تختلج شفتاك ؟
قال : لشرب الشمشعات . قالت : فمِمَّ يختلج كُشحاك ؟ قال : للبسى المحبرات . قالت :
فمِمَّ يختلج نفذاك ؟ قال : لركوبى المطهّات . قالت : هذا زوجى لعمرى فمليككم به ، واقتلوا
العبد ، فقتلوه .

ودخل امرؤ القيس بالجارية التى أحبها حين رآها ، فأنجب بجمالها ، وسألها ، فكان
جوابها شافياً .

وكانت بذكائها جديرة بأن تكون قرينة محبوبه له .

ولاء أم عقبة لابن عمها غسان

كانت أمّ عقبة ، وهى امرأة من بنى يشكر - عند ابن عمِّ لها يقال له : غسان ، ولما
شعر بدنوا أجله أو قرب موته سألها عما تصنع بعده قائلاً :

أخبرى بالذى تريدن بمدى والذى تضميرن يا أمّ عقبة
تحفظين من بمد موقى لما قد كان منى من حسن خلق وصحبه
أم تريدن ذا جال ومال ؟ وأنا فى التراب فى سجن غُربه
فقالت : والله لا أجيبك بكذب ، ولأجملته آخر حظى منك ، وأنشدته :

قد سمعت الذى تقول وما قد يا ابن عمى تخاف من أمّ عقبة
أنا من أحفظ الوداد وأرما هُ لما قد أوليت من حُسن صحبه
سوف أبكيك ما حيت بنوح ومراث أقولها أو بندبة

فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو سر ، فارعى لي حقَّ حُسن الوفاء
إننى قدر جوت أن تحفظى المهد د ، فكونى إذا متُّ عند الرجاء

زواج حاتم الطائي (١)

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال : أخبرنا عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى ، عن عمه ،
وأبو حاتم عن أبى عُبَيْدَةَ . قال :

كانت امرأة من العرب ، ذات جمال وكال وحسب مال ، قد آلت أن لا تزوج نفسها
إلا كريماً ، ولئن خطبها لثيم لتجدعنَّ أنه ، فتحامها الرجال ، حتى انتدب لها زيد
الخليل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون ، فارتحلوا إليها ، فلما دخلوا
عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ، فما الذى جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا زواراً وخطاباً .
قالت : أ كفاء كرام . فأنزلتهم ، وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القِرَى وزادت فيه .
فلما كان اليوم الثانى بعثت بعض جواريتها متنكّرة فى زى سائلة ، تتمرّض لهم ،
فدفع لها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحدٍ منهما ، فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها
جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث ، دخلوا عليها فقالت : ليصف كل واحدٍ منكم نفسه فى شعره
فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هَلَّا سَأَلْتِ بِنَى نَهْأَنَ مَا حَسْبِي عند الطعانِ إذا ما احمرَّتِ الحَدَقُ
وجاءت الخليل مُجَمَّرًا بَوَادِرُهَا بالماء يسفح عن لَبَّاتِهَا المَلَقُ

(١) فى أمالى الزجاجي .

والخيلُ تعلمُ أنى كدتُ فارسها والجارُ يعلمُ أنى الوابلُ العَدَقُ
هذا الثناء ، فإن تَرْضَى فراضيةً أو تسخطى فإلى من تعطفُ العُنُقُ
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أنا أكرم أحساباً وأشهر أفعالاً من أن نصف
أنفسنا لك ، أنا الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لامٍ ليَقْضَى حَاجَتِي فيمن قضاهَا
فما وطئُ الحصا مثل ابنِ سَعْدَى ولا لبس النعال ولا احتذاها
وأنا الذى عُنَّتْ عقيقته فأعتقت عن كل شعرة منها نسمة ، وأنشأ يقول :

فإن تنكحى ماوية الخير حاتماً فما مثلهُ فينا ولا فى الأعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همّه فكلك أسير أو معونة غارم
وإن تنكحى زيدا ففارس قومه إذا الحربُ يوماً أقعدت كل قائم
وإن تنكحى تنكحى غير فاجرٍ ولا جارفٍ جرف العشرة هادم
ولا مُتَقٍ يوماً إذا الحربُ سَمَرَتْ بأنفسها نفسى كفعل الأشياء
وإن طارق الأضياف لآذ برجله وجدت ابن سَعْدَى للقرى غير عاتم^(١)
فأتى هُدًى أهدى لك الله فاقبلى فإننا كرام من رؤوس الأكارم
وأنشأ حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنب والهجرُ وقد جَدَرْتَنِي فى طلابكم المَدْرُ
أماوى إما مانع فمبِينٌ وإما عطال لا يُنْهِنُهُ الزَّجْرُ
أماوى ما ينفى الثراء عن الفقى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصَّدْرُ
وقد علم الأقوام لو أن حاتمًا أراد ثراء المال كان له وَفْرُ

إلى أن أتى على القصيدة ، وهى مشهورة . فقالت : أما أنت يا زيد ، فقد وترت العرب ،
وبقاؤك مع الحرّة قليل . وأما أنت يا أوس ، فرجل ذو ضرائر ، والصبر عليهمّ شديد .
وأما أنت يا حاتم ، فمَرَضَى الخلائق ، محمود الشيم . كريم النفس ، قد زوجتكَ نفسى !

(١) أى : غير مبطى .

حبّ سحيم لعائشة بنت طلحة

قال أبو الحسن على المدائني :

تزوج سحيم بن حفص - بعائشة ابنة طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو أبو عذرتها فولدت له أولاداً ، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر :

أيا طَلَحَ إن كنتَ أعطيتني جُمَالِيَّةً تستخِفُّ الصَّفَارَا
فما كان نفعك لي مرّةً ولا مرّتين ولكن مراراً
أبوك الذي بايع المُعْظَمَ وسار مع المهتدي حيث ساراً

وقال أيضاً عن سحيم : صارت عائشة زوجها ، وكان في خلقتها زعارة ، وكان يلقى منها البلاء ، فقيل له : طلقها ، فقال :

وإنّ فراقى أهل بيت أو دُهم لهم زُلفَةٌ عندي لإحدى العظائم
فكيف يصنو العيش من بعد بينهم وسُخْطُهُمْ يوماً . . عن الأنفِ خاطمي
وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إن تزوّجته فهو على كظهر أُمّي . ثم سألت أهل
المدينة فقالوا : اعتق رقبةً وتزوّجيه . فتزوّجها فأصدقها خمسمائة ألف ، وأهدى لها خمسمائة
ألف . فقال أنسُ بن أبي أنس بن زنيم :

تعطى الفتاة بألف ألف كاملٍ وتبيت سادات الجنود جِيعاً
لو في أبي حفص أقولُ مقاتلي وأبشّه ما قد أرى لارتاعاً
فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال : إنّ مصعباً قدم خيره .

وقال أبو الحسن عن الشعبي : كان يجالسنا أيام الفتنة رجل فقلت : من أنت ؟
قال : مولى عائشة بنت طلحة ، خطبها مصعبُ بن الزُّبَيْرِ وتزوّجها فأحبّها ، وكانت
امراً جميلة في أذنّها عِظَمٌ ، وفي ساقها حموشة^(١) . وقال قوم : في قدمها عِظَمٌ .

(١) الحموشة : الدقة .

ورؤى عن الشعبي أنه قال : أخذ بيدي مصعب ، ففضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي ، فرفع سترأ فإذا عائشة ، وإذا هي أحسن الناس وجهاً ، فأعرضت وخلاني ودخل ، فرجعت . ثم رحتُ إليه بالعشي وهو جالس ، فأشار إليّ بيده وقال : أرايت ذاك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أرايت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلى التي يقول فيها الشاعر :

ومازلت من ليلى لذن طرشاربي إلى اليوم أخفى حبها فأباين^(١)
وأحمل في ليلى لقلبي ضغينة وتحمل في ليلى على الضنائف

ياشعبي : رأيت عائشة وما يدلك إذ رأيتها من صلة ، ثم قال لا بن أبي فروة : أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوباً . فقتل عنها مصعب . وأنبأ الحسن قال : قال سلم بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمت عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله مصعب ، ثم أرادت النهوض ، فأخذت امرأتان يديها . وعندها نسوة . فاعتمدت على المرأتين ، فلهكادت أن تستقل حتى خذلها وركاها ، فقالت إحدى المرأتين : إنّا بك لمتعبات ، وكانت مديدة الجسم ، مكتنزة اللحم ، على نصيب وافر من حسن الصورة وإفراقها .

الثريا وعمر بن أبي ربيعة (٢)

حدثنا الزبير بن بكار ، عن مسلمة المخزومي عن أيوب : أن عمر بن أبي ربيعة كان متعلقاً بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وكانت أهل ذلك جمالاً وتاماً ، وكانت تصيف بالطائف . وكان عمر يندو عليها على فرسه ، فيسأل الرّكبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار ، فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال : ما استطرفنا خبراً ، إلا أننى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش نسيتم اسمها ، ولعله نجم في السماء . فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم .

(١) البيهقي لكثير عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٢) وروايته : « وأداجن » .

(٢) في الأغاني ج ١ .

وكان عمر قبل ذلك قد بلغه أنها عليلة ، فَوَجَّهَ فرسه إلى الطائف يركضه ، وسلك أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا ، وقد توقعتة وهي تتشوف له فوجدها سليمة ومعهما أختاهما : رضا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا أمرتهم لأختبر مالى عندك فقال عمر فى ذلك هذا الشعر :

تشكى السُّمَيْتُ الجُرَى لما جهدته . ويين لو يستطيع أن يشكِّمًا
فقلت له : إن ألقَ للمين قرَّةً . فهان على أن تكلَّ وتسأما
لذلك أدنى دون خيلى رباطه . وأوصى به ألا يهان ويكرما
عدمت إذن وفرى وفارقت مهجتي . لأن لم أقل قرناً إن الله سلما
فقال مسَلَمَةُ بن إبراهيم : قلت لأيوب بن مسَلَمَةَ : أكانت الثريا كما يصف عمر
ابن أبى ربيعة ؟ فقال : وفوق الصَّفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قيس :

حبذا الحجُّ والثريا ومن بال . خيف من أهلها وماقى الرِّحالِ
ياسليمان إن تلاق الثريا . تلقَ عَيْشَ الخلود قبل الهلالِ
دُرَّةً من عقائل البحر بكر . لم يشنها مُثاقِبُ لآلى
تعقد المئزر السَّخَام من الحرِّ . على حِقْوِ بادنٍ مكسالى
وحدثنا عمر بن شبة قال : أخبرنا محمد بن يحيى قال : زعم عبيد بن يعلى ... قال حدثني
كُثَيْب بن كُثَيْب السهمى قال : لما ماتت الثريا ، أتانى النريض فقال لى : قل أبيات شعر أنح
فيها على الثريا ؛ فقلت :

ألا ياعين مالكِ تدمعينا . أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا ؟
أم أنت حزيفة تبسكين شجواً . فشجوك مثله أبكى العيوننا !

أبو الأسود الدؤلي وامراته وابنها

قال صاحب « سناء المهتدى » .

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامراته في ابن لها ، وترافعا إلى زياد - وأراد كل أخذها ، فقالت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابني ، كان بطني وعاءه ، وحجري فداءه ، وثدي سقاءه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى استوفى فصاله ، وكلت خصاله ، واستوكت أوصاله ، وأملت نفعه ، ورجوت دفعه ، أراد أن يأخذه مني كرها ، فأنصيفني فقد أراد قهرى ، وحاول قسرى .

فقال أبو الأسود : حملته قبل أن تحمله ، ووضعتُه قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه في أدبه ، وأنظر في تقويم أوده ، وأمنحه على ، وألهمه حلمي ، حتى يكمل عقله ، ويستكمل فُبله .

فقالت المرأة : صدق أصلحك الله . حمله خفًا ، وحملته ثقلاً ، ووضعه شهوةً ، ووضعتُه كرهاً .

فقال زياد : ارددْ على المرأة ولدَها فهي أحقُّ به منك ، ودعنا من سَجَمِكَ .

* * *

المجرّد والمرأة التي تبعها

قال ابن وهب : تبعْتُ جاريةً إلى منزلها ، طامعاً فيها . فسقتني نبذاً وغنّت على عُودها بصوتٍ ما سمعت أعذب منه ، ولا أنفَدَ إلى القلب :

كَأَنِّي بِالْمَجْرَدِ قَدْ عَلْتُهُ . . نِمالُ القَوْمِ أَوْ خُشْبُ السَّوَارِي

فقلت لها : جِعلْتُ فداءك ، لم أفهم هذا الشعر ولا أحسبه مما يُفَنّي به . قالت : أنا أوّل من تفنّى به ، وإنما هو بيت لا يدرى قائله ومعه بيت آخر .

قلتُ : سرّيني بأن تمنّيه لعلّ أفهم . قالت : ليس هذا وقته ، هو آخر ما أتفنى به .
قال : وجعلتُ لأنازعها شيئاً إجلالاً لها وإعظاماً ، فلما أمسيتُ وجاءت العشاء الأخيرة ،
وضعتُ عودها ، فقمْتُ فصلّيتُ وما أدري كم صلّيتُ عجلةً وتشوّقاً . فلما سلمتُ ، قلتُ :
تأذنين لي جُعلتُ فداءك في الدنوِّ منك ؟

قالت : هذا لك ، ولكن بعد أن يتجرّد كلُّ منّا . ثمّ ذهبت كأنها تريد أن تخلع ثيابها ،
فكدت أن أشقّ ثيابي من العجلة للخروج منها ، ولما قت بين يديها متجرّداً . قالت :
انته إلى زاوية البيت ، وأقبل إلى مقبلاً ومدبراً . قال : وبينما أنا في طريق إلى الزاوية ، أردت
اجتياز حصير في الغرفة ، فاكدت أن أستقرّ فوقه حتّى هبط بي في خرّق تحتّه ، وإذا أنا
في السوق مجرّداً ، وإذا شيخان هناك قد كُنا في ناحية ، وأعدّا نعالهما . فلما هبطت عليهما
بادراني فقطعاً نعالهما على قفّاي ، وجاء أهل السوق ، فشاركوهم في ضربتي حتّى أنسيتُ اسمي
وبينما أنا أُحْبَطُ بنعالٍ مخصّوفةٍ ، وأيدٍ مقلّ ، وخُشبٍ دِقّاقٍ ، إذا صوتٌ من فوق البيت
يفسّي :

كأنّي بالمجرّد قد علته نعالُ القوم أو خُشبُ السوّاري
ولو علّم المجرّد ما أردنا لبادرنا المجرّد في الصحاري

الشعراء العشاق

جميل بثينة (1)

إنَّه لَمُلوَمٌ أنْ بُثِّنَةُ محبوبَةٌ جميلٌ قَائِدُ الشعرِ، وقد نسب بعض الشعراء بنسأء مخصوصة، واشتهر كل واحد منهم بمن تفرل بها، فاشتهر جميل ببثينة، واشتهر كثير بعزة، وعروة ابن حزام بعمراء، وقيس مجنون بنى عامر بليل، وقيس بن ذريح بلبنى، والمرقس بفاطمة، وذو الرمة بمينة وهي الخرقاء، والعباس بن الأحنف بفوز.

وبعض الشعراء لا يلتزم التنزل بامرأة مخصوصة كاهرى القيس .
وبُثِّنَةُ مصغر . بثنة - قال صاحب الصحاح : البثنة - بالتسكين : الأرض اللينة، وبتصغيرها سميت : بُثِّنَةُ .

أما قصة جميل بن معمر العذرى، فقد روى صاحب « الأغاني » بسنده، قال :
اجتمع جميل مع جماعة من رهطه يتحدثون. فقال بعضهم : بالله حدثنا بأعجب يوم لك مع بثينة . قال : نعم . مُنِمْتُ من لقائى مدة ، وتعرّضت لها جهدى فلم أصل إليها ، فبينما أنا ذات ليلة جالس بين شجرات بالقرب من حيفا ، وقد أقيمتُ ثلاثاً أنتظرها ، إذا شخص قد أقبل إلى ، فجلست وانتضيت سيفى ، فلم ألبث أن غشبنى الشخص ، فإذا هى بثينة قد أكتبته على . فأدهشنى ذلك، وبقيت متحيرة لا أحيى جواباً إليها، ولا أراجعها كلمة حتى برق الصبح، وما استطعت أن أكلمها .

قالوا : فهل قلت فى ذلك شيئاً ؟ فأنشدهم قصيدة طويلة . .

وهذه أبيات من أولها :

أهاجك أم لا بالتناضب مَرَبُوعٌ ورسمٌ بأحراج الغديرين ، بَلَقُوعٌ

ديارُ الليل^(١) .. إذ نَحُلُّ بها معاً وإذ نحن منها في المودة نَطْمَعُ
 فياربِّ حَبِيبِي إِلَيْهَا ، وَأَعْطِنِي ۖ مودةً منها ، أنتَ تعطى وَتَمْنَعُ
 وإلا .. فَصَبْرُنِي وَإِنْ كَفَتْ كَارَهَا فأَيُّ بها إذا العارِجُ مُوَلِّعُ
 فَإِنْ يَكْ قَدْ شَطَّتْ نَوَاهَا وَقَدْ نَأَتْ فَإِنَّ الْقُوَى مِمَّا تُشِيتُ وَتَجْمَعُ
 جَزَعْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ لِمَا تَحْمَلُوا وما كان مثلي يَا بَشِينَةُ يَجْزَعُ
 تَمَتَّعْتُ مِنْهَا يَوْمَ بَانُوا بِنَظَرِي وهل عاشقٌ من نظرةٍ يَتَمَتَّعُ ؟

وروى صاحب الأغانى عن الهيثم أن جيلاً طال مقامه بالشام ، ثم قدم وبلغ بَشِينَةَ خبره . فرأسلته مع بعض نساء الحى ، تذكر شوقها إليه ، ووجدتها به ، وواعدته لموضع يلتقيان فيه ، فصار إليها ، وحادثها طويلاً ، وأخبرها بحاله بعدها .

قال : وقد كان أهلها رصدوها ، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجا عليها ، فوثب جميل فسل سيفه وشدَّ عليهما ، فاتقياه بالهرب . وناشدته بَشِينَةُ بالانصراف وقالت : إن أمت فصحتنى ، ولعل الحى أن يلحقوك ، فأبى وقال : أنا مقيم ، وامضى أنت وليصنعوا ما أحبوا . فلم تزل تناشده حتى انصرف . وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه ، فقال هذه الأبيات السَّتَّة :

بمختلف الأرواح يَبْنَ سُوَيْقَةٌ وأُحْدَبَ^(٢) كادت بعد عهدك تَخْلُقُ^(٣)
 أضرت بها النكباء^(٤) كل عَشِيَّةٍ ونفحُ الصَّبَا^(٥) والوابل^(٦) المتبعق^(٧)
 وقفت بها حتى تحلَّتْ عَمَائَتِي^(٨) وملَّ الوقوف الأَرْجَى^(٩) المنوق^(١٠)

(١) لا يخفى أن جيلاً ينسب ببشينة . وإنما ذكرها باسم ليل جرياً على عادة الشعراء فى إخفاء أسماء معشوقاتهم أحياناً .

(٢) سويقة وأحْدَب : موضعان . (٣) تخلق : تبلى ، يقال خلق الثوب وأخلق .

(٤) النكباء : كل ريح تهب بين مهب ريحين لأنها نكبت عن مهبها أى : عدلت .

(٥) نفح الصبا : النسيم العليل . (٦) الوابل : المطر العظيم . (٧) المتبعق : المطر العظيم .

(٨) عمائى : يفتح العين من العماية ، هى من عمى القلب . (٩) الأرجى : الجمل النجيب منسوب إلى أرحب وهى قبيلة ، وقيل خل ، وقيل موضع .

(١٠) المنوق : المذلل كالناقة .

وقال خليلي : إنَّ ذا لَصَبَابَةٌ^(١) ألا تزجرُ القلبَ اللجوجَ فيلحق
تَعَزُّ وإن كانت عليك كريمةٌ لعلَّكَ من أسباب^(٢) بثنة تُعْتَقُ
فقلت له : إنَّ البُعَادَ يشوقني وبعضُ بعادِ البين والنأيِ أشوقُ

كثير عزة

من «بلاغات النساء»^(٣) ماحدثني الزبير بن بكار، قال : حدثني سليمان بن عباس
السَّعْدِيُّ قال : كان كثير بن عبد الرحمن يلقى من يحج من قريش في كلِّ سنة بهديَّة ،
فمَقَّل سنة عنهم ، حتى أصبح يوماً فركب من منزله بكَلْبَةً جَمَّلاً ، واستقبل الشَّمْس في يوم
صائف ، فلم يأت قديداً حتَّى احترق وصَجَرَ وجاء وقد راح النَّاس ، إلا فتى من قريش
تخلف ومعه راحلةٌ له ، على أن يلحق بهم .

قال الفتى القرشي : فإنِّي لجالس إذ أقبل كثيرٌ فجلس إلى جنبي ولم يُسَلِّمْ . ثم جاءت
امرأة جميلةٌ وسيمةٌ ، فاستندت إلى خِيَمَةٍ من خيام قديد ؛ ثم قالت له : أنت كثير
بن أبي جمعة ؟ قال : نعم . قالت أنت الذي تقول :

وكنْتُ إذا ماجئتُ أجلن مجلسي وأعرضن عني هيةً لا تجهما

قال : نعم . فتأمَّلت وجهه مبتسمة وقالت : أعلى مثل هذا الوجه هية ؟ إن كنت
كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقال لها : كثيرٌ : من أنت ؟ واحتدَّ عليها وهي ساكتة . ثم قال لها : لو أعلم
من أنت لقطعتُكَ وقطعتُ قومك هجاء . فلما سكن ، قالت له : أأنت الذي تقول :

متى تنشروا عني العامة تُبصروا جميل الحيا أغفلتهُ الدَّوَاهُنُ ؟

أنت جميل الحيا ؟ ! إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

(١) وقوله : لعلَّكَ من أسباب بثنة . روى بدله : لعلَّكَ من رق لبثنة . . .

(٢) في إرشاد الأديب ص ١٣٧ .

فضجركثير ، وسكنت عنه حتى سكن . ثم قالت : أنت الذى يقول :
 يروق العيون الناظرات كأنه هرقلي وزنٍ أحمر التبر وازنُ
 أهذا الوجه يروق العيون ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
 فازداد خجراً وقال : قد أعلم من أنت ، ولأقطعك وقومك ، وقام . فالتفت فإذا هى قد ذهبَت .
 قال القروى : فلما كان منصرفي من قديد ، سألت مولاة هناك عن تلك المرأة وقلت لها :
 لك على إن أخبرتنى من هى أن أطوى لك ثوبي هذين إذا قضيت إحرامى وآتيك بهما —
 فأدفعهما إليك . قالت : والله لو أعطيتني وزنهما ذهباً ما أخبرتك من هى . هذا كثير —
 وهو مولاى — قد أبيت أن أخبره من هى .
 قال القروى : فرحت وبى أشد مما بكثيراً .

عمر بن أبي ربيعة

كان عمر بن أبي ربيعة^(١) معروفاً بشغفه حباً فى النساء ، وعشقا لحاسنهن ، والتشبيب
 بمن يهواها ، وهذه أبيات له :

فلمّا تَقَضَّى الليلُ إلّا أقله	وكادت تَوالى نَجْمِه تَنفُورُ
أشارت بأن الحى قد حان منهم	هبوب ولكن موعد لك عزورُ
فلما رأت من قد تنبه منهم	وأيقاظهم قالت : أفيـر كيف تأمرُ ؟
فقلت : أباديهم فإمّا أفوئهم	وإمّا ينال السيف ثأرا فيثأرُ
فقلت : أنحقيقاً لما قال كاشحُ	علينا ، وتصديقا لما كان يؤثـرُ
فإن كان مالا بُدّ منه فغيره	من الأمر أدنى للخفاء وأسرُّ
أقص على أختي بدء حديثنا	ومالى من أن تعلمّا متأخرُ

لَمَّا هُمَا أَنْ تَبَغِيَا لَكَ مَخْرَجًا وَأَنْ تَرْحَبَا صَدْرًا بِمَا كُنْتَ أَحْصَرُ
فَقَالَتَ لِأَخْتَيْهِمَا : أَعِينَا عَلَى فِتْي أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرَ لِلْأَمْرِ يُقَدَّرُ
فَأَقْبَلْتَا ، فَارْتَاعَتَا . . ثُمَّ قَالَتَا : أَقْلَى عَلَيْكَ الْوَمُ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ
يَقُومُ فَيَمْشِي بَيْنَنَا مَتَنَكِرًا فَلَا سِرَّنَا يَفْشُو ، وَلَا هُوَ يُبْصَرُ
فَكَانَ بَجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى ثَلَاثَ شَخْصٍ : كَاعْبَانَ وَمَعْصَرُ

من شعر أمية بن الصلت في الغزل

قال أمية بن أبي الصلت من قصيدة له من « الطويل » :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى وَأَذَنَ أَحْبَابِي غَدَاً يَقُولِ
تَبَدَّتْ لَهُ لَيْلَى لِيَذْهَبَ عَقْلُهُ وَشَاقَتْكَ أُمُّ الصَّلْتِ بَعْدَ ذُهُولِ
أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا وَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى تَنْشُتُكَ عَبْرَةٌ تَمَلِّ بِهَا الْعَيْنَانِ بَعْدَ نُهُولِ
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي : هَلْ سَأَلْتَهَا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، لَيْلَى أَضَلُّ خَلِيلِ
وَأَبْعَدُهُ لَيْلَا ، وَأَوْشَكُهُ قَلَى وَإِنْ سُئِلْتُ عُرْفًا فَشَرُّ مَسْئُولِ
لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُحْتُ عَنْهُمْ بَلِيلَى ، وَلَا أُرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ
فَإِنْ حَاوَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بِكَذِبَةٍ فَرَوْهَا ، وَلَمْ يَأْتُوا لَهَا بِحَوِيلِ
فَلَا تَعْجَلِي يَا كَيْلُ أَنْ تَنْهَمِي بُنْصَحَ أَتَى الْوَاشُونَ أُمَّ بِحُبُولِ
فَإِنْ تَبَدَّلِي لِي مِنْكَ يَوْمًا مَوْدَّةً فَقَدْ مَا تَخَذْتُ الْفَرْضَ عِنْدَ بَدُولِ
وَإِنْ تَبَخَّلِي يَا كَيْلُ عَنِّي فَإِنِّي تَوَكَّلْتُ نَفْسِي بِكُلِّ بَخِيلِ
وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِي بِنَائِلِ قَلِيلِ ، وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلِ

وليس خليلي باللول ، ولا الذي
ولكن خليلي من يديمُ وصالَه
ولم أرَ من كَيْلَى نوالاً أعدّه
يلومُكَ في كَيْلَى وعقلُكَ عندها
يقولون : ودّع عنكَ كَيْلَى وَلَا تَهِم
فما انتفعت نفسي بما أمروا به
وقالوا : نأتْ فاختَر من الصبر والبكا
توليت محزوناً وقلت لصاحبي :
لقد أكثر الواشون فينا وفيكمُ
وما زلتُ من كَيْلَى لدُنْ طرَّ شاربي
إذا غُيِبْتُ عنه باعني -
ويحفظُ سرِّي عند كلِّ
ألا ربّما طالبت غير
رجالٍ ، ولم تذهبْ لهم
بقاطعة الأقوان ذاتِ خلا
ولا عُجْتُ مِنْ أقوالهم
فقلت : البكا أشقى إذن
أقاتِلني كَيْلَى بنير قَتيل
ومالَ بنا الواشون كلِّ
إلى اليوم كالمَقصَى بكلِّ

حب امرئ القيس

من بين جبال اليمن السعيدة وقد اشتهرت بخصب أرضها - جبل يقال له :
وهو جبل معروف يعلو سفحه نبات أخضر يسمى « العرمض » ويعلو الماء فيه
يقال له « طامي » ويقال له أيضاً : ثورُ الماء ، لتفجّر ثورانه من بين صخور وأ-
وقد ذكر البكري أن ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله صلى الله
فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم ، فلما أتوا « ضارجاً » وهو ذلك
بقى عليه الظلُّ وادفاً جيلاً من نبات العرمض ، بخضرته اليانعة ورائحته الطيبة
أحدهم قول امرئ القيس :

ولما رأتُ أنَّ الشريعة همُّها وأنَّ البياضَ من قرائضها د
تيممتُ العين^(١) التي عند « ضارج » بفيء عليه الظلُّ عَرْمَضُها طامي
وإنَّه لخبر عجيب - سقناه - على أثر من آثار الطبيعة التي أبدع الله صنعها .

(١) إشارة إلى الماء .

(٢) الطامة : المرتفع الذي يعلو نباته الماء .

ذو الرّمة وميّة

اشتهر ذو الرّمة بحبّ خرقاء ، ولُقِّبَتْ : ميّة . ومّا يؤثّر عنه أنّه يخاطب نفسه -
في قصيدة طويلة كلّها غزلٌ ونسيبٌ فيقول :

إذا قلت ودّع وصل خرقاء واجتنب زيارتها تخلّق حبال الرسائل
وأهله ودّ فد تبرّيت ودّهم وأبليتهم في الحمد جَهْدِي ونائلي

توبة وليلى الأخيلية

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان ، وأبو إسحاق الزجاج ، عن أبي العباس محمد
ابن يزيد المبرّد . قال ثبتت الروايات والأخبار أنّ « ليلي الأخيلية^(١) » لم تكن امرأة
توبة بن الحخير ولا أخته ، ولا كان بينهما نسب شابك ، إلّا أنّهما كانا
جميعاً من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان يحبها وتحبّه ،
فأقاما على حبّ عفيفٍ دهرًا ، وتلك هي السّنةُ في عشاق بني عذرة وغيرهم ، إلى أن قتل
توبة . وكان سبب قتله أنّه كان يطلبه بنو عوف - فأحسّوا قدومه من سفره ، فأتوه طروقًا ،
وبيّنه وبين الحى مسيرة ليلة ، ومعه أخوه « عبد الله ، ومولاه قابض » فهربا وأسلماه ،
ففي ذلك تقول « ليلي » :

دعًا قابضًا والمرهفات تنوشه فقبّحت مدعوا ، ولبيّت داعيًا
فياليت عبد الله حلّ مكانه فأودى ، ولم أسمع لتوبة ناعيًا
ومن جيد ما تروثيه به قولها :

فأقسمت ، أبكى بعد توبة هالكًا وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المغيّر
فلا الحى ممّا يحدث الدهر سالمٌ ولا الميت إن لم يصبر الحى ناسمٌ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٠ .

وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ إلى بلى وكلَّ امرئٍ يوماً إلى الله صائرُ
فلا يُبعدنكَ اللهُ توبةَ هالكٍ أنا الحرب إذ دارت عليه الدوائرُ
وأقسمت لا أنفك أبكيك مادمتُ على غصن ورقاه أو طار طائرُ
قتيلُ بنى عوفٍ فيالهفتا له وما كنت إياهم عليه أحاذرُ

قال أبو القاسم رحمه الله : قولها : « أقسمت أبكى بعد توبة هالكاً » أى : لا أبكى بعد توبة هالكاً . والعرب تضمّر « لا » فى القسم مع المعنى - لأنَّ الفرق بينه وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون - كقولك والله لأخرجن ، وقال الله عز وجل : « قاله تفتأ تذكر يوسف » أى : لا تفتأ تذكر يوسف . وقولها : « ولا الميت إن لم يصبر الحى ناسر » يقال : نشر الله الموتى فملشروا - أى . أحياهم فحيوا .

قال الشاعر :

لو أسندتُ ميتاً إلى نحرها عاش ولم يقبل إلى القابرِ
حتى يقول الناس ممّا رأوا يا عجباً للميت النّاسرِ

ومن أغرب ما روى فى (الصّدّى) ما رواه أبو على من أن ليلَى الأخيلية مرّت مع زوجها فى بعض نجمعهم بالوضع الذى فيه قبر توبة ، وكانت متزوجة فى بنى الألكح بن عبادة ابن عقيل . فقال لها زوجها : لا بد أن أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمى عليه حتى أرى هل يجيب صداه كما زعم - حيث يقول :

ولو أن ليلَى الأخيلية سلّمتُ على ، ودونى جندلٍ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليم البشاشة . . أو زقاً إليها صدى من جانبِ القبرِ صائحُ

فقلت له : وما تريد من رمة وأحجار ؟ ! فقال : لا بدّ من ذلك ، فعدل بها عن الطريق إلى القبر ، وذلك فى يوم قاطظٍ ، فلمّا دنت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام عليه ، إذا بطائر قد استظلّ بحجارة القبر من فيح الهاجرة ، فطار ، ففطرت راحلتها ووقمت ، فماتت !

وفي هذا الخبر ما يحقق ويصدق أن : البلاء موكلٌ بالمنطق . كما يروى أن أحد المولعين
بالنجر قال :

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ تَرَوُّى عِظَامِي فِي الْمَتِ عَرُوقَهَا
وَلَا تَدْفِنُونِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ إِلَّا أَذُوقَهَا
وبعد حين من ذلك ، مات ذلك المولع بالنجر ، وزار قبره ذاكرٌ له فإذا هو عليه عريش ،
فتمتع به من ذلك !

عبيد الله بن طاهر وجاريته

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - قال : أخبرنا أبو العباس المبرّد قال :
دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وقد فصد فظننت أن ذلك لعملة ، فأكثرته له من
الدعاء . فقال : خفف علىك أبا العباس ، فليس ذلك لعملة ، وانظر ماتحت البساط ، فنظرت فإذا
رقعة فيها :

حلف الظريف بقطعه يده إن مسّ من يهواه بالآلم
حتى إذا ضاق الفضاء به جعل الفصّاد تحيلة القسم
قلت : حسن أيها الأمير . فأسببه ؟ قال مددت البارحة يدي إلى إحدى الجوارى بالضرب
فألّمت لما نالها من الألم ، فخلعت بقطع يدي ، فأنتيت بالفصد ، ففعلت . وأنشدنا الأخفش
لأبي نواس :

ما بال قلبك لا يقرُّ خُفُوقًا وأراك ترعى النّجمَ والعُيُوقًا
وجفون عينك قد نثرن من البسكا فوق الدمايع لؤلؤًا وعقيقًا
لو لم يكن إنسان عينك ساجحًا في بحر دمعته لمات غريقًا

بحر هوى ليس له شطّ

أخبرنا أبو بكر محمد بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال :
 دخل بعض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكي ، وبين يديه جارية يقال لها : خلساء ،
 وكانت شاعرة ظريفة ، فقال له : اعبت بها فأنشأ يقول :
 خلساء خلساء وحتّى متى يرتفعُ الناسُ وتَنَحَّطُ
 قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأنني من دقتي خيَطُ
 فقالت خلساء :

وكيفَ منجأى وقد حلّ بي بَحْرُ هوى ليس له شَطّ
 يدركك الوصلُ فتنبّجُو به أُوَيقع الهجر فتَنَحَّطُ

حب زينب بنت إسحاق النصراني

من فوائد الرضى الشاطبيّ المذكور ، ما ذكره أبو حيان في الحبّ قال : وهو من
 غريب ما أنشدنا الإمام الأيوبيّ رضيّ الدين أبو عبد الله محمد بن عليّ بن يوسف الأنصاريّ الشاطبيّ
 لزينب بنت إسحاق النصرانيّ :

عديّ وتيمّ لا أحاولُ ذكرهم بسوء ولكنني محبّ لها هم
 وما يتريني في عليّ ورهطه إذا ذكروا في الله لومة لائم
 يقولون : ما بال أنصاريّ تحبّهم وأهل النّهي من أعرب وأعجم
 فقلت لهم : إنّي لأحسبُ حبّهم سرى في قلوب الخلق حتّى البهائم

التائب من الحب

قال الحجازي^(١) : قال عبد الوارث : كان فيمن يقرأ على مملوك مديح الوجه ، رضى الخلق ، حاد الذكاء . فخالوت به يوماً ، وداعبته بعبارات تُنبئني عن شدة شغفي به ، فقال لي : حذار أن تعود لثل هذا الكلام ، فلجُذِرَان آذَانٌ ، ورب عثرة لسانٍ ، أودت بإنسانٍ . . . ولكن إذا لم تستطع الكتمان ، فاكتب لي ما تحب أن تقوله في ورقة فتكون في أمانٍ واطمئنان .

قال : فلما سمعت ذلك منه تمكّن الطمع مني ، وكتبت في ورقة :
يا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ بِهِ الْوَرَى صِلْ هَائِمًا قَدْ ظَلَّ فِيكَ مُحَيَّرًا
وَأَمْنُنْ عَلَى بَسَاعَةٍ فِي خَلْوَةٍ إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي الْهَوَى أَنْ تُوجِرَا
وكتبت تحت البيتين كلاماً كثيراً في هذا المعنى ، ثم دفت إليه الورقة خلسة .
فلما حصلت الورقة عنده - كتب إليّ في غيرها : إِنْكَ لَتَمَلِّمْ أُنًى مِنْ بَيْتِ عَرِيقٍ
فِي التَّقْوَى . وسأبقى عندي خطك شاهداً على ما فرط منك ، وَلَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأُطْلِمَنَّ
عليها أبى وغيره . فتصيبك فضيحة الأبد .
أما إن انتهيت فلن أخبر بها أحداً أبداً .
فلما وقفت على خطه ، علمت قدر ما وقعت فيه ، وجعلت أرغب إليه في أن يرُدَّ الرُّقعة
إليّ ، فأبى وقال :

مى عندي رهن على وفائك بألا ترجع إلى التكلّم في ذلك الشأن .
ولم يسمنى إلّا أن امثّلت ، لأنّ رأيت صيانتي وناموسى في يده ، وتبت عن مثل هذه
الدعابات .

(١) في نفح الطيب ج ٢ ص ٩٥٢ .

الحب والجمال

حب امتداح النساء

كان أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - من الشعراء المطبوعين على حب امتداح من يراه من النساء ، عن براءة في القصد ، تحمّل في طياتها روحاً لا تؤمن إلا بالواقع ، مهما يكلفه ما قصد إليه ، دون أن يقيم لذلك وزناً في استجلاب مرضاة أحد ، ومهما يعترضه من خصوم أو لائمين ، فن وسائله قلائده :

مضت الشبيبة والحبيبة فالتقى
دعمان في الأجفان يزدهمان
ما أنصفتني الحادثات رميني
بمودعين ، وليس لي قلبان
وقوله من أخرى :

قلت للعين حين شامت جالاً
من بروق كواذب الإياض
لا يغرنك هذه الأوجهُ الغرّ
فارب حية في رياض
وقوله من أخرى أيضاً :

خليلى عهدى بالليالى صوافياً
أورخ يوم الموت يوم افتقادها
ولا تحسباً عيشي على فإننى
ولا البدر إلا طالعاً من بلادها
ولست أحب الضوء إلا لوجهها
لسار فؤادى في طريق فؤادها
ولو أننى أنصفتها ورقيتها
نفدت وحق الله قبل نفاذها
خليلى هل أبصرتها مثل أدمى

وقال بعض الحكماء : ما آنس الإنسان ، ولا عمر المكان ، ولا سلى الأحران ،
ولا أعان على الزمان ، مثل البيض العوان .

وفي كتاب مُسْلِمٍ ، أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال : « الدنيا متاع ، وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصَّالِحَةُ » .

وفي كتاب « الأربعين » للثقفى عن أبي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قال : سئل النبي - صَلَّى الله عليه وسلم : أىُّ النساءِ خيرٌ ؟ فقال : التى تسره إذا نَظَرَ ، ولا تمصيه إذا أمر ، ولا تخالفه فيما يكره من نفسها ، ولا ماله .

وفي « الشهاب » : « النَّظَرُ إلى المرأة الحسنة يزيدُ فى البصر » والله درُّ أبى نواس إذ يقول :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً
وقال شاعر آخر :

ويُفْجِعُ من سِوَاكَ الفِعلُ عِنْدِي فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسِنُ مِنْكَ ذَاكَ
وقال غيره :

وإذا الحبيبُ أتى بذنبٍ واحدٍ جاءت محاسنه بألفٍ شفيعة

أعرابي يصف امرأة

قال المُتنبى^(١) : سمعتُ أعرابياً يصف امرأة فقال : بيضاء جَمَدَةً ، لا يمسُّ الثوبُ منها إلا مُشاشَةً كَتِفَيْهَا ، وحَلَمَةٌ نَدِيهَا ، ورضفٌ رَكَبَتَيْهَا ، وجَانِبِي أَلْيَتَيْهَا ، وأنشد :
أَبَتِ الرَّوَادِفُ وَالْتَدِيُّ لُحْمُهَا مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا
وإذا الرِّيحُ مع العَشيِّ تَنَاحَتْ بَهَنَ حَاسِدَةً ، وَهَجَنَ غَيُورًا
وقال آخرُ : لَيْتَ فُلَانَةً حَظَّتْ من أَمَلِي ، وَلَرُبَّ يَوْمٍ سَرَّتْهُ إِلَيْهَا حَتَّى قَبَضَ اللَّيْلُ
بصرى دونها ، وإنَّ من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفي الظَّمَاءَ .

(١) فى العقد الفريد ج ٢ ص ١١٥ .

وذكر أعرابي امرأة فقال : تلك شمسُ باهت بها الأرضُ شمسُ سماءِها ، وليس لي شفيحٌ في افتضاءها ، وإن نفسي لسكرتومُ لِدائها ، ولكنّها تفيض عند امتلائها . أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شمسُ أرضِها التي تَمُّ نورُها فباهت بها الأرضون شمسَ سماءِها
شكوتُ وما الشكوى لمِثلي عادةً ولكن تفيض النفسُ عند امتلائها
وقيل لأعرابي : ما بالُ الحبِّ اليومَ على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ،
كان الحبُّ في القلب ، فانتقل إلى المعدة ، إن أطعمته شيئاً أحبّها ، وإلا فلا . كان الرجلُ
إذا أحبَّ امرأةً ، ظلَّ حولاً يطوفُ يدارِها ويفرح إن رأى من رآها ، وإن ظفِرَ منها
بمجلس تشاكياً وتناشداً الأشعار ، وإنه اليومَ يشيرُ إليها وتشيرُ إليه ، ويمدُّها وتمدُّه ،
فإذا اجتمعوا لم يشكوا حبّاً ولم يُشيدا شعراً .

وقال أعرابي يشكو لوعةَ الحبِّ وكتَمانه وصبره على من يُحبُّه ولا يطيق سُلوانه :
شكوتُ فقلت : كلُّ هذا تبرماً يحبِّي ، أراح الله قلبك من حُبِّي
فلما كتمتُ الحبَّ قلت : لشدَّ ما صبرت ، وما هذا بفعل شجى القلبِ
وأدنو فتقصيني فأبعدُ طالباً رضاها ، فتعتدُّ التَّباعُدَ من ذنبي
فشكواي تؤذيها ، وصبري يسوءها وتجزعُ من بُعدي ، وتنفرُ من قُرْبِي
فياقوم هل من حيلةٍ تعلمونها ؟ أشيرُ وإبها ، واستوجِبوا الشكرَ من ربِّي

الوصف بعد المشاهدة (١)

اشتهر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني بروائع الكَلِم في نظم الشعر ،
واتخذ لنفسه طرائق سهلةً ، غاية في البساطة ، فكان يسمو بوصف ما أحسَّ به ، واستساغه ،
ويكسوه من رقة المعاني أسلوباً جميلاً يقرُّبه إلى الفهم ، حتى يتذوق أنفامه المستمعُ هراباً

عذباً سلسبيلًا ، ويملاً به المحزون صدره نسيماً صافياً عليلاً ، ومن بدائع طرفه قوله :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أضرّب من فيه

الورد : قد أينع فى وجنتى قلت : فمى بالثمر يجنيه

وقوله ، ولم أسمع فى التعريض بالالتحاء أحسن منه :

قد برّح الحب بمشتاقك فأوله أحسن أخلاقك

لا تجفّه وارع له حقّه فإنه آخر عشاقك

وقوله فى فصّد الحبيب :

ياليت عيني تحمّلت ألمك وليت نفسي تقسمت ستمك

وليّت كفّ الطيّب إذ فصّدت عرفك أجرت من ناظريّ دمك

أعرتّه صيغ وجنتيك كما ثميره إن لثمت من لثمك

طرفك أمضى من حدّ مبضعه فالحظ به العرق واغتنم ألمك

وقوله من قصيدة أولها :

من أين للعارض السارى تلّهبه وكيف طبق وجه الأرض صديبه

هل استمان جفوني فى تنجده أم استمار فؤادى فهو يلهيه

ومنها :

بجانِبِ السّكرَمِ من بغداد لي قمره لولا التّجمل ما أنفك أنذبه

وصاحب ما صحب الدهر مدبّدت دياره ، وأراني لست أصحابه

فى كلّ يومٍ لِمَينى ما يؤرّقها من ذكره ولِقَلبي ما يمدّبه

وما البعادُ دهاني ، بل خلايقه ولا الفراقُ شجّاني ، بل تجنّبه

وله أيضاً :

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق أوسع فقلت : ولكنّ مطلب الرزق ضيق

إذا لم يكن فى الأرض حرٌّ يُمينى ولم يك لي كسب ، فمن أين أرزق ؟

أُسْنَانُ النِّسَاءِ (١)

قال أبو الحسن الأخفش : من أحسن ما قيل في ترتيب أسنان النساء ، وإن كان شعرا ضعيفا ، قولُ ضَمْرَةَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، وقد سأله وصف النساء :

مَتَى تُلْقَ بِنْتَ « الْعَشْرِ » قَدْ نَصَّ نَدِيهَا .	كُلُّوْةِ الْغَوَاصِ يَهْتَرُ جِيْدُهَا
تَجِدُ لَذَّةَ مِنْهَا خَلْقَةَ رُوحِهَا	وُغْرِيهَا ، وَالْحُسْنُ بَعْدُ يَزِيْدُهَا
وصاحبة « العشرين » : لا شيء مثلها	فَتِلْكَ الَّتِي تَلْهُوْ بِهَا وَتُرِيْدُهَا
وبنت « الثلاثين » : الشفاء حديتها	هي العيش مارقاً ولا دق عودها
وإن تلق بنت « الأربعين » ففبطة	وخير النساء : أودها وودها
وصاحبة « الخمسين » : فيها بقية	من الحسن واللذات ، صلب عمودها
وصاحبة « الستين » لا خير عندها	وفيها صياغ ، لا حريص يريدها
وصاحبة « السبعين » إن تلف مهرسا	عليها فتلكم خزية يستفيدها
وذات « الثمانين » التي قد تجللت	من الكبر الفاني وقد وريدها
وصاحبة « التسعين » يرعش رأسها	وبالليل مقلق قليل هجودها
ومن طالع الأخرى ، فقد ضل عقله	وتحسب أن الناس طراً عبيدها

دائرة يلعب فيها البدر (٢)

عرف الشيخ سعيد السمان الدمشقي ، بحب الجمال ، وشغف بتصوير ما يمشق تصويراً حساساً ، ومن قوله مضمناً مصراعه الأخير :

يَارُبَّ ظَنِي كَالِدَامِ حَدِيثُهُ	فَيُسَيِّفُهُ سَمْعِي وَعَقْلِي يَطْرُبُ
قَدْ خَلَّتْهُ شَمْسُ النَّهَارِ بِكَفِّهِ	مَرَاةُ حُسْنِ لَوْنِهَا يَتَدَهَّبُ
وَالْوَجْهُ فِيهَا لَا مَحْ فَسَكَاةُهَا	هي دائرة والبدر فيها يلعبُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي (٢) في سلك الدرر ج ١ ص ٢٠٨ .

وقال العالم أحمد المتيني ، مضمناً نفس المصراع :

عائنه وكأته من لطفه راح تكادها اللواحظ تشرب
بالعقل والشطرنج يلعب وهوى فسطاط حسن للمسة يجلب
يحكي الزمرد خضرة فكأنما هي دارة والبدر فيها يلعب

المرأة والطيب (١)

يَحْمِلْنَ أَرْجَةَ نَضْحُ الْعَبِيرِ بِهَا كَأَنَّ تَطْيِيبَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ
الأثرجة هنا : كناية عن المرأة شبهها بها في طيب رائحتها ، وما في لونها من الصفرة
وكانت العرب تكره بياض اللون المفرط ، ولذلك كانوا يعيرون قول الأعشى :
ومن كل بيضاء رغبوبة لها بشر ناصع كاللبن
وكانوا يستحسنون قول ذى الرمة :
صفراء في نعج بيضاء في دعج كأنها فضة قد مسها ذهب

نتف الوجه بالخيط (٢)

قال الناظم : لما استقر بنا المقام ، بين إقدام وإحجام ، ودفننا الحنين إلى ما يُحَمَّدُ
عقباه ، قرأنا على أبي بكر بن دُرَيْدٍ رحمه الله :

فلما مضى شهر وعشر لمبرها وقالو : يجيء الآن قد حان حينها
أمرت من السكتان خيطاً وأرسلت جرياً إلى أخرى قريباً تعينها

هذه امرأة تنتظر عيراً تقدم زوجها فيها ، فأرادت أن تنتف وجهها بالخيط وتمهئاً له .
والجري : الرسول . يقول : أرسلته إلى جارة لها تستعين بها في نتف وجهها بالخيط للتزين .
وبعد هذا سار مسترسلاً معبراً عن الخيط بالسلك ، لأنه أقرب إلى المعنى ، وأسلس في المبنى ،

فقال :

فأزال يَجْرِي السَّلْكُ في حرٍّ وَجْهَهَا وَجْهَيْهَا حَتَّى ثَنَّنَتْهُ قُرُونُهَا
ثَنَّنَتْهُ : كَفَّنَتْهُ . وقُرُونُهَا : ذَوَائِبُهَا . ومنه قول مجنون لَكَيْلَى لزوجها :
بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَكَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبْلَتْ فَأَهَا ؟
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَكَيْلَى رَفِيفَ الْأَفْحَوَانَةِ فِي شَذَاهَا

تشبيه المرأة ببدر السماء

بَدَتْ لَيْسُ كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
قوله : كأنها بدر السماء ، في موضع الحال للمرأة أي : بَدَتْ مشبهة البدر ، وإذا تبدَّى
ظرفٌ لما دلَّ عليه كَأَنَّ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ . أي : بَرَزَتْ هذه المرأة كاشفةً عن وَجْهِهَا ،
كأنها قد أُرْسِلَتْ تَقَابَهَا . ودَلَّ على هذا بقوله : كأنها بدرُ السماء إذا تبدَّى . وإنما فعلت ذلك
إِمَّا لِلتَّشْبِيهِ بِالْإِمَاءِ حَتَّى تَأْمَنَ السَّيَّءُ ، أو لما تَدَاخَلَهَا مِنَ الرَّعْبِ . ومثله قول الشاعر :
وَنِسَوْتَكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهُهَا يُخْلَنَ إِمَاءُ ، وَالْإِمَاءُ حِرَارُ

لقاء فتى جميل الوجه في الجنة

ذكر المبرِّد عن أبي كامل ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمرو النخعي قال :
كان بالكوفة فتى جميل الوجه ، شديد التَّعَبُّدِ وَالْاجْتِهَادِ . فنزل في جوار قوم من النخع ،
فنظر إلى جارية منهنَّ جميلة ، فهُوِيَهَا وَهَامَ بِهَا عَقْلُهُ . ونزل بالجارية ما نزل به ، فأرسل يخطبها
من أبيها ، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عمِّ لها . فلما اشتدَّ عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى ،
أرسلت إليه الجارية ، قد بلغت شدة محبتك لي ، وقد اشتدَّ بلائي بك . فإن شئت زرتك ،
وإن شئت سهلت لك أن تأتي إلى منزلي . فقال للرسول : ولا واحدة من هاتين الخلتين
« إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » أخاف نارا لا يخبو سعيها ، ولا يحمد لهيها .

فلما أبلغها الرسول قوله ، قالت : وأراه مع هذا يخاف الله . والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإن العباد فيه لمشتركون . ثم انخلعت من الدنيا ، وألقت علائقها خلف ظهرها ، وجعلت تتعبد . وهي مع ذلك تذوب وتنحل حباً للفتى وشوقاً إليه حتى ماتت من ذلك . فكان الفتى يأتي قبرها فيبكي عنده ، ويدعو لها . فنلبته عينه ذات يوم على قبرها ، فرآها في منامه في أحسن منظر . فقال لها : كيف أنت وما لقيت ؟ قالت :

نِعْمَ الْحَبَّةُ يَا سَوْلى حَبَّتْكُمْ حَبٌّ يَقودُ إِلَى خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ
فقال : على ذلك إلام صرت ؟ فقالت :

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوال له فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مُلْكُ أَيْسَ الْفَآنِي
فقال لها : اذكريني هناك ، فأثني لست أنساك . فقالت : ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا ، فأعنى على ذلك بالاجتهاد . فقال لها : متى أراك ؟ فقالت : ستأتيانا عن قريب فترانا . فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات ، رحمه الله . وذكر الزبير بن بكار ، أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة ، وكان من عباد أهلها ، فسعى القس من عبادته . فرّ يوماً بجارية تغني ، فوقف فسمع غناءها فرآه مولاه . فأمر أن يدخل عليها فأبى . فقال له : فاقعد في مكان تسمع غناءها ولا تراها . ففعل فأعجبته . فقال له مولاه : هل لك أن أحوّلها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ، ثم أجابه إلى ذلك . فنظر إليها فأعجبته ، فشغف بها وشغفت به .

وعلم بذلك أهل مكة . فقالت له ذات يوم : أنا والله أحبّك ، فقال : وأنا والله أحبّ ذلك . قالت : فما يعمدك ؟ فإنّ الموضع نخل ! قال لها : ويحك ، إنّي سمعت الله يقول : « الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتّقين » . فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك في الدنيا عداوة يوم القيامة . ثم نهض وعيناه تذرفان بالدموع من حبها !

تكنى المرأة بالشاة أو البيضة (١)

خرج الرشيدُ في بعض أسفاره . فأخرج معه أخته عاتكة ، وكان قد بلغه أنها تُعجب بسلام له اسمه « رشا » فأبعده ، وقيل قتلته . ثم إنهما علقت من بعده غلاماً آخر اسمه « طَلَّ » فكانت تكثير من ذكرها له . فقال لها الرشيدُ : والله لئن ذكرتِه لأقتلَنَّكَ ، فدخل عليها يوماً على حين غفلةٍ وهي تقرأ قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ » . فلما شعرت به قرأت أول الآية « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » ثم أُمسكت حتى لا تذكر اسم (طَلَّ) وأكملت قائلة : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ . . . فالذى نهى عنه أمير المؤمنين . فابتسم الرشيدُ وقال لها : « ولا هذا أيضاً يا أختي » .

وقيل إنه أخرج ذلك الغلام من قصره ، فطار قلبها حزناً لفراقه ، وقالت :
أَيَا سَرَّحَةَ الْبُسْتَانِ طَالَ تَشَوُّقِي فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ إِلَيْكَ سَبِيلُ ؟
مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لَيْسَ يُرْجَى خُرُوجُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
فانظر كيف وَرَّتْ « بِظِلِّ عَنْ طَلِّ » بعد أن قدمت ذكر السَّرْحَةِ - وهي الشجرة -
لتتمكن من لفظة ظِلِّ فتبمد التُّمَمَةُ . وكثيراً ما تذكر العرب لفظة السَّرْحَةَ أو الشاة أو
البيضة أو القلوص ، وهي الشاة من الإبل ، وتكنى بذلك عن المرأة .

وكانت أم حكيم من أجل نساء وقتها ومن أشجع الناس وأحسنهم بديهةً ، خطبها
جماعة من أشراف الخوارج فرددتهم ، وكانت مع أمير الخوارج قطري بن الفجاءة ، في جُند
(الأباضية) فكانت ترتجز في تلك الحروب وتقول :

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سُمْتُ حَمَلَهُ وَقَدْ مَلَلْتُ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ

أَلَا فَتَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقَلَهُ ؟

والخوارج يَفْدُونَهَا بِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، وكان « قطري » يُشَبِّبُهَا . وفيها يقول
في وقعة دُولَاب ، وهو من رقيق الغزل :

لَمَمَرُّكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدُ
 مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يَرْ مَثَلُهَا
 لَمَمَرُّكَ إِنِّي يَوْمَ الظُّمِّ وَجَّهَهَا
 وَلَوْ شَاهدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصَرْتُ
 غَدَاةَ طَعْنَتْ عُلَمَاءَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ
 فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْعَصًا
 وَضَارِبَةً حَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى
 أُصِيبَ بِدَوْلَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا
 فَلَوْ شَاهدْتَنِي يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
 رَأَتْ فِتْيَةً بَاعُوا الْإِلَهَ نَفُوسَهُمْ
 وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ « أُمَّ حَكِيمٍ »
 شَفَاءَ لَذَى بَثٍّ وَلَا لَسْقِيمٍ
 عَلَى فَائِبَاتِ الدَّهْرِ جِدُّ كَثِيمٍ
 طِعَانٍ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
 وَعُجْنًا صُدُورِ الْخَيْلِ نَحْوِ تَمِيمٍ
 يَمُجُّ دَمًا مِنْ فَايِظٍ وَكَلِيمٍ
 أَغْرَى نَجِيبِ الْأُمَّهَاتِ ، كَرِيمٍ
 لَهُ أَرْضُ دَوْلَابٍ ، وَدِيرُ حَكِيمٍ
 تُبْسِخُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ
 بِجَنَّةٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَتَعِيمٍ

* * *

أَسْمَاءُ النِّسَاءِ (١)

وَلَا بِنَ الْوَرْدَى فِي « أَسْمَا » :
 أَرَى أَسْمَا إِذَا غَضِبَتْ وَصَدَّتْ
 وَإِنْ هِيَ وَاصَلَتْنِي طَابَ قَلْبِي
 وَفِيهَا أَيْضًا :
 قَدْ لَامَنِي فِي حَبِّ أَسْمَا عَاذِلُ
 فَاعْجَبْ لِمَجْرَى مَدَامِعِ أَوْقَفَتَهَا
 وَفِي آمَنَةٍ :
 قَدْ وَعَدْتَنِي بِالْوَفَا آمَنُهُ
 كَيْفَ يَخَافُ الْقَلْبُ مِنْ بَيْنِهَا
 أَكَادُ مِنَ الْفَرَامِ أَمُوتَ سَقَمًا
 كَأَنِّي بَثُّ أَوْقِيهِ بِأَسْمَا
 أَجْرِي مَدَامِعِ مَقْلَتِي بِدَمَا
 مِنْ فَعْلِ ذَاكَ الْحَرْفِ فِي أَسْمَا
 وَقَدْ غَدَتِ بِالرِّضَا آمَنُهُ
 وَمَهْجَتِي أَضَحَتْ بِهَا آمَنُهُ

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن الرطيب قوامها
تهدّنى بالهجر في الوصل عامداً
وللازهرى فى أنس :

آنست بالوصل مذ جاءت به أنس
عن مالك قد روى نيران وجتها
وله فى حليلة :

قالوا حليلة صبحت
لم لا ترقّ لحالى
وفى خديجة :

خديجة قد سبتنى
وكانت الروح تقسو
وفيها أيضاً :

تعشّق فى الهوى قلبى فتاة
أموت بحبّها شوقاً وأحيا

وفى زيلب :

وعرض بذكري حين تسمع زيلب
عساها إذا ما مرّ ذكرى بسمها

وفى سلمى :

لسلمى من لواظها سهام
إذا رامت تشكّ به فؤاداً

وفى عائشة :

أيّا دهرٍ خبرنى بحقّك واشفىنى
أيّمل أنى فى المحبة ميّت

فسهام فكري فى أمورى طائشة
وحبيبتى من بعد موتى طائشة

وفيها أيضاً :

شغل القلب بقدر أهيف
أنت دعني أن أمت في حبها
تركت منه العوالي طائشه
ثم دعها بعد عيني عايشه

وفي فاطمة :

فاطمة مذ كنت طفلاً بها
كم أرضعتني وصلها بالهنا
مت جوى وهي بذات عالمه
ثم انثنت لي بأنها فاطمه

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن لها قائمه
قد أرضعت طفل الهوى مرّة
عادلّة مع أنّها ظالمه
بوصلها ثم انثنت فاطمه

وفيها أيضاً :

قالتى قد أصبحت
ناديتها يا مهجتي
والبحر منها كاظمه
ما الاسم ؟ قالت : فاطمه

وللازهرى في نفيسة :

نفيسة بالها ملكت فؤادى
وقد حازت لفرط سنا بهاها
وأضحت في ملاحتها رئيسة
وذات الحسن مرتبة نفيسة

ولابن الجليل في عالمة :

عالمة عالمة بالجفاء
قلت لها هل تعلمين الذى
قامتها عادلّة ظالمه
ألقيه قالت إننى عالمة

وله أيضاً - فيها :

عالمة لها على
وأوتيت من كل شى
كرسيها فضلّ جسيم
ء ولها عرش عظيم

ولابن الوردى في قابلة :

أقول لقابلة أدمعى
أنا رجل مقبل للقا
على حبها تقطع السابله
قالت وأنا امرأة قابله

وله في كاتبة :

كاتبة توقيع نسخ الجفا
يصدر عن سمتها الراحمة
تكنم أسرار رقاعي لها
أحسن بها كاتبة كاتمة

وله في فقيهة :

تفقهت في عذابي
وبالفت في جدالي
خود تسيط غرامي
عن طرفها الغزالي

ولالأزهرى - في خياطة :

أحببها كالبدر خياطة
منزلها في القلب والطرف
فلى ركوب الفرج من وصلها
وللرقيب الشل بالكف

وله في عجانة :

كلف الفؤاد بظبية عجانة
ما كنت يوماً آمناً من هجرها
عجنت فؤادي بالنرام فإؤها
من أدمى ودقيقها من خصرها

وله في جبانة - أى بائعة الجبن :

بائعة جبن منذ همت بها
رأى الورى روحى بها تعبانه
وكل أهل الحى قد تحققوا
بأننى أموت فى الجبانة

وله في مسخرة :

عجبت فى رمضان من مسخرة
جاءت تسخرنا يوماً فقلت لها
بديعة الحسن إلا أنها ابتدعت
كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

ولابن الوردى فى رومية :

رومية الأصل لها مثله
تركبة صارمها هندى
تفضحنى وجنتها فاعجبوا
من وجبة فاضحة الوردى

وله فى مصرية :

مصرية كأنها بدر
تملقنى مكرأ ولا
فجل من خلق
ينكر من مص الملق

وله في شامية :

شامية شامة بوجنتها
أخشى من الملامة إذا قبلتها
يرق لي في حبها الشامة
فسوم بختي ينطق الصامت.

وله في بدوية :

وبى من البدو كحلاء الجفون بدت
فلو بدت لحسان الحضر قن لها
في قومها كهة بين آساد
على الرؤوس وكان الفضل للبادي

وله في عراقية :

بي هيفاء من بنات العراق
ثم قالت : أتيت من باب ابرز
أطلقت أدمعي وشدت وثاقي
بالعطايا رأيت باب الطاق

وله في مشرقية :

جاءت من المشرق لا مالدا
وقالت : احذري فتنه
في عينها شيء ولاجا هنا
للناس ، والفتنة من هاهنا

وله في مغربية :

يابنات الشرق حاذرن السطأ
ماظهر البدر من مشرقه
ولالأزهرى في مجوسية :
إن بنت الغرب في موكبها
كطلوع الشمس من مغربها

عابدة النور سنا نورها
قد أحرق قلبى بهجرانها
أوضح لي في الحب أعذارا
فالويل ممن يعبد الغارا

وله في نصرانية :

زنار بنت النصارى
رجاني الشد منه
فخ لها أى فخ
وكثرة الشد ترخي
وقال آخر في مليحة تابع بالشطرنج
لاعبتها بالشطرنج ثم ضربتها

قالت : فنفسك ، قلت : حصنتها
بالرخ شاة تسترت بالفيل
لكن خذى فرسى هناك وفيلي

الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما (١)

قيل لأبي السائب المخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسيب ؟
 فقال : أمّا من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا
 والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد .
 قيل : الغزل هو إلف النساء والتخلُّق بما يوافقهن ، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ .
 وقد نبّه على ذلك « قدامة » وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .
 وقال الحاتمي : من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه ، أن يكون ممزوجاً
 بما بعده من مدح أو ذم ، متصلاً به غير منفصل منه ؛ فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان
 في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فتي انفصل واحد من الآخر وبأينه في صحّة التركيب ،
 غادر بالجسم هاهنا تنخون محاسنه وتغفى معالم جماله .

يا ليل الصب متى غده (٢) ؟

من نوارد الطرائف ما ذكره « ابن بشكوال » في كتاب الصلة . كما ذكره الحميدي أيضاً .
 وهو : كان أبو الحسن ، عليّ الحصريّ القيروانيّ ، ابن خالة أبي إسحاق صاحب « زهر الآداب »
 حافظاً فاقها ، وأديباً عالماً بالقراءات وطرقها .
 وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في « سبّته » وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءات
 نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وله ديوان شعر . ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة
 التي أولّها :

(١) في العمدة : لابن رشيقي ج ٢ ص ٩٤ (٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٣٢

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
وقد وازنهما صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد الكنانى أبو الفضائل المعروف
بالقمراوى رحمه الله بأبيات من جملتها :

قد ملّ مريضك عودُهُ	ورثى لأسيرك حُسدهُ
لم يُبقِ جفاك سوى نفيس	زفرت الشوق تصعدهُ
هاروت يُعنّينُ في السَّحْ	ر إلى عَيْنَيْكَ وَيُسِندهُ
وإذا أغمدت اللَّحْظَ فَتَكْ	ت فكيف وأنت تجردهُ
كم سهل خدك وجهَ رضا	والحاجب منك يُعقدهُ
ما أشرك فيك القلب فكم	في نارِ الحجرِ يُخلدهُ

أما قصيدة أبي الحسن على الحصرى القيروانى فعلى :

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ	أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رقدَ السُّمَارُ فَأَرْقَهُ	أَسَفُ اللَّيْلِ يَرُدُّهُ
فبكاه النجمُ ورَّقَ له	مما يراه ويرصدهُ
كَلِفٌ بَغْزَالٍ ذِي هَيْفٍ	خوفَ الوَاشِينَ يَشْرُدُّهُ
نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ مَرَكَا	في النُّومِ فَمَزَّ تَصِيدُهُ
وكفى عجباً أنى قَنَصٌ	للسَّربِ سَبَانِي أَغِيدُهُ
صَنَمٌ لِلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ	أَهْوَاهُ وَلَا أَتَعْبِدُهُ
صَاحِ وَالْخَمْرُ جَنَى قَمِهِ	سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِيدُهُ
يَنْضَوُ مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفًا	وَكَاَنَّ نُمَاسًا يَغْمِدُهُ
فُيرِيقُ دَمَ الْمُشَاقِّ بِهِ	وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ
كَلَا ، لَازَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ	عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَا مَنْ جَعَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي	وعلى خديهِ تَوْرُدُهُ
خَدَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بِدَمِي	فَعَلَامَ جُفُونِكَ تَجْحَدُهُ

إِنِّي لَأُعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي وَأَظُنُّكَ لَا تَتَعَمَّدُ
 بِاللَّهِ هَبِ الْمُشْتَاقَ كَرِّى فَلَمَلْ خِيَالِكَ يُسَعِدُ
 مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنِي صَبَّ يَدَيْكَ وَتُبْعِدُ
 لَمْ يَبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلَيْبِكَ عَلَيْهِ عُوْدُ
 وَغَدًا يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ . . يَزِيدُ
 يَا أَهْلَ الشُّوقِ لَنَا شَرَقُ بِالذَّمْعِ يَفِيضُ مَوْرِدُ
 يَهْوَى الْمُشْتَاقُ لِقَاءَكُمْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تُبْعِدُ
 مَا أَخْلَى الْوَصْلَ وَأَعَذَبَهُ لَوْلَا الْأَيَّامُ تُنَكِّدُ
 بِالْبَيْنِ وَبِالْهَجْرَانِ ، فَيَا لِفُؤَادِي كَيْفَ تَجِدُ
 الْحَبَّ أَعَفْتُ ذَوِيهِ أَنَا غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفْسِدُ

استحسان وضاعة الوجه (١)

كان لعزّ الدولة غلام ذكىّ وضىء الوجه ، ولفرط ميله إليه — جملة رئيس سرية جردت للحرب ، ولم يستحسن المهيلى ذلك منه ، فكتب إليه :

ظَبْيُ يَرْقُ الْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَيَرُوقُ عُوْدُ
 نَاطُوا بِمَقْدِ خَصْرِهِ سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تَوُوْدُ
 جَمَلُوهُ قَائِدَ عَسْكَرٍ ضَاعَ الرَّعِيلُ وَمَنْ يَقُوْدُ

وكافت الدائرة على جيش الغلام كما أشار المهيلى ! .

وفى « خزانة الأدب » للبغدادى ج ٣ :

الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، والجميلة هى التى تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة هى التى كلما كررت بصرك منها زادتك حسناً .

(١) فى نفع الطيب .

وقيل : الجميلة هي السَّمينَة من الجليل وهو الشَّحم . والمليحة : هي البيضاء ، والصبيحة كذلك ، من الصُّبْح لبياضه .

وروى أنس عن النبيّ - صَلَّى الله عليه وسلّم - أنه قال : « حُسْنُ الْوَجْهِ مَالٌ » .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « اطلبوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ » .

وقال ابن عمر : قال صَلَّى الله عليه وسلّم : « ثَلَاثَةٌ تَجْلُو الْبَصَرَ : النَّظَرُ إِلَى الْخَضِرَةِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ » .

ونظمها الشاعر فقال :

ثَلَاثَةٌ يُذْهِبْنَ لِلرَّءِ الْحَزْنَ الْمَاءُ ، وَالْخَضِرَةُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنُ

كواكب لا كواعب

كلّ عبد العزيز بن سرايا ، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق . وقد أجاد القصائد المطولة والمقاطع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء ، كما قد أزرى زهر الأرض في الربيع ، تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المعسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسالولة .

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ . ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦ ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه ، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها : « بأبي الشُّموس الجانحات غواربا » وفيها يقول :

أَسْبَلْنَ مِنْ فَوْقِ الشُّهُودِ ذَوَائِبًا	فَتَرَكْنَ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبًا
وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْمَعًا	غَادَرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا
بِيضٌ دَعَاهُنَّ النَّبِيُّ كَوَاعِبًا	وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدُ قَالَ كَوَاعِبًا

سَفَّهَنَ رَأَى الْمَانَوِيَّةَ عِنْدَمَا
وسفرن لي ، فرأيت شخصاً حاضراً
أشرفن في حُللٍ كأنَّ أديمها
وغربن في كِللٍ ، فقلتُ لصاحبي :
وَمُعْرِيدِ اللَّحْظَاتِ يَتْنِي عِطْفُهُ
حُلُوُ التَّمَتُّبِ وَالذَّلَالِ يَرَوْعُهُ
عَاتِبَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ
فَأَرَانِي الْخَدَّ السَّكِيمَ فَطَرَفُهُ
ذُو مَنْظَرٍ تَغْدُو الْقُلُوبُ بِحُسْنِهِ
لَاغَرَوْ إِنِّ وَهَبَ اللَّوَاظِظَ حَظْوَةً
أَسْبَلَنَ مِنْ ظَلَمِ الشُّعُورِ غَيَا هَبًا
شُدِّهَتْ بِصِيرَتِهِ ، وَقَلْبًا غَائِبًا
شَفَقْتُ تَدْرِهُمُهُ الشُّمُوسُ جَلَابِيَا
« بَأْيِ الشُّمُوسِ الْجَانِحَاتِ غَوَارِبَا »
فِيحَالُ مِنْ فَرَجِ الشَّيْبَةِ شَارِبَا
عَتِيْبِي ، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا هَاتِبَا
وَأَزُورُ الْخَاطِطَ وَقُطَّبَ حَاجِبَا
ذُو النُّونِ إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةُ مُضَاضِبَا
نَهْبًا وَإِنْ مَنَحَ الْعَيُونَ مَوَاهِبَا
مِنْ نُورِهِ ، وَغَدَا لِقَائِي نَاهِبَا

كل فتاة بأبيها معجبة (١)

أرجوزة للأغلب العجلى ، يقول فيها :

كريمةٌ أحوالها والعصبية
قَبَّاهُ ذَاتُ سُرَّةٍ مُقَعَّبَةٍ
كأنها حَقَّةٌ مِسْكٍ مُذْهَبَةٌ
مَمْكُورَةُ الْأَعْلَى رَدَّاحُ الْحَجَبَةِ
كأنها حِلْيَةٌ سَيْفٍ مُذْهَبَةٌ
أَهْوَى لَهَا شَيْخٌ شَدِيدُ الْعَصَبَةِ
نَمَّ انْتَنَتْ بِهِ فُوقَ الرَّقَبَةِ
فَأَعْلَنْتُ بِصَوْتِهَا : أَنْ يَا أَبَهُ

« كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ »

(١) في خزانة الأدب ج ١ : أرجوزة للأغلب العجلى يقول فيها :

أصل بليتي من قد غزاني (١)

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الجباب الأغابي السعدي الصقلي المعروف
بالقاضي الجليس - ما يدعو إلى الحكمة في غزله - وقد عاش نحواً من سبعين عاماً - كما تولى
ديوان الإنشاء للفايز مع الموفق بن الخلال ، ومن مداعبته :

حَيَّا بِتَفَاحَةٍ مُخَضَّبَةٍ مِنْ شَفَقَتِي حُبَّهُ وَتَيْمَمِي
فَقُلْتُ : مَا إِنْ رَأَيْتُ مُشَبَّهًا فَاحْمَرَّ مِنْ خَجَلَةٍ فَكَذَّبْنِي

وقال أيضاً :

وَأَصْلُ بَلِيَّتِي مَنْ قَدْ غَزَانِي مِنْ السَّقَمِ الْمُلِحِّ بَعْسَكْرَيْنِ
طَبِيبٌ طَبَّهُ كَغَرَابِ بَيْنِ يُفَرِّقُ بَيْنَ عَانِيَتِي وَيَدِينِي
أَتَى الْحَمَى وَقَدْ شَاخَتْ وَبَاخَتْ فَعَادَ لَهَا الشَّبَابُ بِنَسَخَتَيْنِ
وَدَبَّرَهَا بِتَدْيِيرٍ لَطِيفٍ حَكَاهُ عَنْ سُنَيْنٍ أَوْ حُنَيْنِ
فَكَانَتْ نُوبَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ فَصَيَّرَهَا بِحَذَقٍ نَوْبَتَيْنِ

وقال أيضاً :

يَاوَارِثًا عَنْ أَبِي وَجْدٍ فَضِيلَةَ الطَّبِّ وَالسَّدَادِ
وَحَامِلًا رَدَّ كُلِّ نَفْسٍ هَمَّتْ عَنْ الْجِسْمِ بِالْإِعَادِ
أَقْسِمُ لَوْ قَدْ طَبَبْتَ دَهْرًا لِمَادِ كَوْنًا بِإِلَافْسَادِ

وقال من جناس بديع :

رُبَّ بَيْضٍ سَلَكَنَ بِاللَّحْظِ بَيْضًا مُرْهَفَاتٍ جُفُونُهُنَّ جُفُونُ
وَحُدُودٍ لِلدَّمْعِ فِيهَا حُدُودُ وَعُيُونٍ قَدْ فَاضَ مِنْهَا عُيُونُ

وقال أيضاً :

حَبَّذا مُتَعَةُ الشَّبَابِ يُهْ نَذَرُ فِي حُبِّهَا خَلِيعُ الْعِرَةِ
إِذْ يَذَاتِ الْخَمَارِ أُمْتَعُ كَلِيلِ وَبِذَاتِ الْخِمَارِ أَلْهُو نَهَادِ
وَالْقَوَانِي لَا عَنْ وَصَالِ غَوَانِ وَالْجَوَارِي إِلَى جَوَارِي جَوَادِ

تشبيب عمر بن أبي ربيعة

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، مديدة الجسم مكتنزة جانب وانف من الجمال ، حسنة الصورة ، وفي خلقها أنفة وعزة وصرامة ، حتى رآها يوماً فسبح وقال : كأنها من الحور .

وقد روى أبو الحسن المدائني ، عن عمر وأبي طارق بن المبارك ، أن عمر بن قال يشبب بمائشة ابنة طلحة :

أصبح القلبُ في الخيال رهيناً مقصداً يوم فارق الفلأع.
لم يرُغنى إلا الفتاة وإلا دمعها في الرِّدَاءِ سيجاً سيح
عجَّلت حمةُ الفراقِ علينا برحيلٍ ولم تحف أن تب
أنتِ أهوى العبادِ قُرباً ووُداً لو تواتينَ عاشقاً محز
قاده الطرفُ يوم مرَّ إلى الحيد نـ جهاراً ولم يخف أن يح
وجلاً برد بركة جندي ضوء وجهه يضي للناظر
فاذا ظنية تراعى نجاجاً ومهاً بهج الناظر عين
قلتُ : من أنتم ؟ فصدتُ وقالت أميدٌ سؤالك العالين
قلتُ : بالله ذي الجلالة لَمَّا إذ تبتلِ القواد أن تصد
أى من تجمعُ المواسمُ أنتم فأبيني لنا ولا تكذ :

نحن من ساكني العراق وكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
 قد صدقناكِ أن سَأَلْتِ فَنُ أَزِ تِ عَسَى أَنْ يَجُزَّ شَأْنُ شَوْوَنَا
 قد نرى أَنَّنَا عرفناكِ بِاللَّحْمَةِ تِ نَظَنُّ وَمَا قَتَلْنَا بِقِينَا
 بِسَوَادِ الثَّنِيَّتَيْنِ وَتَغَرَّ قَدْ زَاهُ لِنَظَرِ مُسْتَبِينَا
 فكانت عائشة تقول : والله ما قلتُ له هذا وما كُفِّمَتْهُ قَطُّ .

وَأَبْنَا أَبُو الْحَسَنِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَائِدٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ بِمَكَّةَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ فَحَدَّثْتُهُ وَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَرُّ لِي بِأَعْوَانٍ ، فَصَبَّرَ إِلَيْهَا قَوْمًا يَكُونُونَ
 مَعَهَا ، فَخَجَّتْ وَمَعَهَا سِتُّونَ بَنًا عَلَيْهَا الْهُوَادِجُ وَالرَّحَائِلُ .

صُبْحُ الْمَشِيبِ يَدُلُّ عَلَى لَيْلِ الشَّبَابِ (١)

قال الأمير أسامة بن منقذ :

قَالُوا نِهَاءَ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الصَّبَا وَأَخُو الْمَشِيبِ يَجُوزُ ثَمَّةٌ يَهْتَدِي
 كَمْ حَارَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ ، فَدَلَّهْ صُبْحُ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
 وَإِذَا عُدَدَتْ سِرِّيَّ ثَمَّ نَقَصَتْهَا وَمَنْ الْهُمُومُ فَتِلْكَ سَاعَةٌ مَوْلَدِي

الشاعر الغزال (٢)

من روائع البيان ما حكاه ابن حبان ، من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم
 الرواسي ، وجه شاعره الغزال ، إلى ملك الروم ، فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني
 وخف على قلبه ما احتواه من دقة المباني ، وسر به سروراً عظيماً ، وقال من لدنه
 ودّاً وتسكيرياً ، حتى إنه مال إليه ، وقرب به لديه ، فطلب منه منادمته ، إلا أنه امتنع لما أدرك
 جليلة الأمر معتذراً بتحريم الخمر .

(١) في خلاصة الأثر ج ٣ ص ٢٦ . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ٤٥١ .

فلما أن كان يوماً جالساً عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها. ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسناً وضياءً، فما لبث الغزالُ لا يعيل طرفه عنها شغفاً بباهر ما استراه منها، وجعل الملك يحدثه وهو لا يهتد عن حديثه. فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله. فقال له: عرفته أأني قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه، فأني لم أر قط مثلاً. وأخذ في وصفها وما شاهده من عجيب جمالها ودلالها، حتى لكانما شوقته إلى لقاء الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك للملك الروم، زاد إعجابه بالشاعر الغزال. كما سرّت الملكة بوصفه لها.

غزال قد غزا قلبي (١)

في كتاب «المطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن الغزال، وشهرة اسمه «غزال» أرسل إلى بلاد الجوس، وقد قارب الحسين أو يزيد، وقد وخطه الشيب ولكنّه كان مجتمع الأشد، ضليع الجسم، قسيماً وسيماً، فسألته يوماً زوجة الملك، واسمها (تود) عن سنه. فقال مداعباً: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيب؟ فقال: وما تنكرين من هذا؟ ألم ترى قط مهرأ ينتج وهو أشهب؟ فأعجبت بقوله، وقال في ذلك:

كُلِّفْتُ يا قلبي هوى مُتَعِباً	غَالِبَتْ مِنْهُ الضَّيْفَمُ الْأَغْلَبَا
إِنِّي تَعَلَّقْتُ بِجَوْسِيَّةٍ	تَأْتِي لَشَمْسِ الْحُسْنِ أَنْ تَغْرُبَا
أَقْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِي حَيْثُ لَا	يُذْنِي إِلَيْهِ ذَاهِبٌ مَذْهَبَا
يَا تَوْدُ يَا وَرَدَ الشَّبَابِ الَّذِي	تُطْلِعُ مِنْ أَزْرَارِهَا الْكُوكَبَا
يَابَأْبَى الشَّخْصُ الَّذِي لَا أَرَى	أَخْلَى عَلَى قَلْبِي وَلَا أَعْدَبَا
إِنْ قُلْتُ يَوْمًا إِنَّ عَيْنِي رَأَتْ	مُشَبِّهَةً لَمْ أَعُدْ أَنْ أَكْذِبَا
قَالَتْ: أَرَى (فَوْدِيَه) قَدْ نَوَّرَا	دُعَابَةً تُوجِبُ أَنْ أَدْعَبَا

لها : ما باله . . . إنه قد يُنتجُ المهرُ كذا أُمهبا
نضحكتُ عجباً بقولي لها وإنما قلتُ ليكي تعجباً
ولما فهمها - الترجمان - شعر « غزال » ضحكت، وأمرته بالخضاب فغدا عليها،
وقال :

كرتُ تحسِّن لي سوادَ خضابي فكانَ ذاكَ أعادني لِشبابي
شيبُ عِندي والخضابُ لوصفٍ إلا كشمسٍ جُلَّتْ بضباب
بى قليلاً ثم يُشعُّها الصبا فيصيرُ ما سترتُ به لذهاب
نُكْرى وَضَحَ المشيبُ فإِنَّمَا هُوَ زَهْرَةُ الأُفْهامِ والأَلْبَابِ
ما تهوين من زهو الصبا وطلاوةِ الأخلاقِ والآدابِ

غرام أم جنون

مر الراق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان يهيم بوصف
لم يعين لها اسماً - حتى لا يشهر بها في التشبيب ، ولكيلا يعرفها عند العام ،
دادها من الخاص ، وفي الأبيات التي يناجيها بها معانٍ قد جمع فيها حسن التعبير ؛
• . وكان عفيفاً في دقة نظمه ، وصفاء تعبيره ، فقال :

كُنْ مَنى السَّقمِ حتَّى كأنني توهُمُ معنًى في خَفِيِّ سُؤالِ
سأحتُ عيناه عيني في الكرى لأشكُل من طيف الخيالِ خيالِ
تُبرُوحى وهي عِندي عَزِيزَةٌ وَجُدْتُ بقلبي وهو عِندي غالي
خِفْتُ أن تَقْضَى عليَّ مَنيتي ولم أَقْضِ أوطاري بيومٍ وصالي
نَ ما لَقِيَ مِنَ الوجودِ أَنَّهُ صدودُ دلالٍ لاصدود مَلالِ
كان ذاكَ الصَّدُّ مِنْهُ مِلالة شَدَدْتُ عَن الدنْيا مَطَيَّ رَحالي

ثمّ ما لبث أن استرسل في مواجيدته ، واستلهم مشاعر أناشيده . فة
 ما بال قلبك يستعين أبـ غرامـ أم جنو
 برح الخفاء بما تجنّ فأذهب الشك
 حتى مشى بين الجوا نـح والضلوع هو
 وإلى متى قلب التـسيم في يد البلوى
 شخّصت له فيك العيون وقسمت فيك
 وسلّبت الباب الورى بلواظـ فيها فتو
 وقوام أغصان الريا ض وأين تدركك
 الحسن في الأغصان فنّ وهو في هذا
 من أين للأغصان ذا لك الحسن والسحر
 أم ذلك الورد الجنيّ بخـده والياس

سلعوس وسلعسة (١)

قال إبراهيم بن المهديّ : كفت يوماً بحضرة المأمون ، فقالت لي
 العبث : ياسلعوس . فقلت :
 أما لعريب أن ترى غير سلعسة فكوني كما أنت ، تك
 فقال المأمون على الفور :
 فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هـنالك شك أن ذ
 قال إبراهيم : فعجبت من فطنة المأمون . وقلت :
 كذا - والله - يأمر المؤمنين قدّرت ، وإياه أردت !

عاتكة بنت معاوية

حدثني الكُراني قال : حدثني العمري عن الهيثم بن عديّ - قال : حدثنا صالح ابن حسان - قال : وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المِرزبان - قال : حدثني محمد ابن عمر - قال : حدثني محمد بن السريّ - قال : حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد ، واللفظ لصالح بن حسان ، وخبره أتم . قال : حَجَّتْ عاتِكةُ بنتُ معاويةَ بن أبي سُفيان - فنزلت من مَكَّةَ بِذِي طُوًى ، فَبَيْنَمَا هِيَ ذات يوم جالسةٌ وقد اشتدَّ الحرُّ وانقطع الطريقُ ، وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرت جوارِها فرفعنَ السَّترَ وهي جالسةٌ في مجلسِها ، عليها شُفوفٌ لها ، تنظرُ إلى الطريق ، إذ مرَّ بها أبو دِهْبل الجُمَحِيُّ - وكان من أجملِ الناسِ وأحسنهم منظرًا . فوقفَ طويلًا ينظر إليها وإلى جمالِها ، وهي غافلة عنه ، فلَمَّا فطِنَتْ له سترت وجهها ، وأمرت بطرح السَّترِ . وشمتمته ، فقال أبو دِهْبل :

إني دُعاني الحَيْنُ فافتادني	حتى رأيتُ الظُّبْيَ بِالْبَابِ
ياحُسْنَهُ إذ سَبَّني مُدِيرًا	مُسْتَتِرًا عَنِّي بِجِلْبَابِ
سبحان من أوقعها حُسرةً	صُبَّتْ على القلبِ بأَوْصَابِ
يَدُودُ عنها إن تطلَّبَها	أَبْ لَهَا لَيْسَ يَوْهَابِ
أحلَّها قصرًا مَنيعَ الذُّرى	يُحْمَى بِأَبْوَابِ وَحُجَابِ

وقال أيضًا :

طالَ لَيْلِي وَبِتُ كَالْمَحْزُونِ وَمَلَّتُ الثَّوَاءَ فِي جِيْرُونِ
وَأُطِلْتُ الْمَقَامَ بِالشَّامِ حَتَّى ظَنَّ أَهْلِي مُرْجَمَاتِ الظُّنُونِ
فَبَكَتْ خَشْيَةَ التَّفَرُّقِ جُمْلَةً كَبَكَاءِ الْقَرِينِ إِثْرَ الْقَرِينِ
وهيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةٍ الْفَوَاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكُونِ
وَإِذَا مَا نَسَبَتْهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَسْكَرِمِ دُونِ
ثُمَّ خَاصَرَتْهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْءِ رَاءَ تَمْشَى فِي مَرَمَرٍ مَسْنُونِ

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونٍ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلْتُ سُقْمِي وَتَقَلَّبْتُ كَيْفَاتِي فِي فُنُونٍ
كَيْتَ شِعْرِي أَمِنْ هَوًى طَارَ نَوِي أَمْ بَرَانِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجُنُونِ

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح

قال ابن بسّام^(١): كان المصنّف بن صمادح، يوماً مع ندمائه. فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرّفة في أنواع اللّعب المطرب من الدّك. وحضر أيضاً هناك لاعب مصريّ ساحر، فكان لعبه حسّفاً، فارتجل أبو عبد الله بن الحدّاد:

كَذَا فَلْتَلُحْ قَمَرًا زَاهِرًا وَتَجْنِي الْهَوَى نَاطِرًا نَاضِرًا
وَسَيِّبُكَ سَيِّبُ نَدَى مُنْدِقٍ أَقَامَ لَنَا هَامِيًا هَامِرًا
وَبَانَ لِيَوْمِكَ ذَا رَوْنَقٍ مُنِيرًا كَنُورِ الضُّحَى بَاهِرًا
صَبَاحَ اصْطَبَحْنَا بِإِسْفَارِهِ لَحْظَنَا مُحْيَا الْعَمَلَا سَافِرًا
وَأُطْلِعَتْ فِيهِ نَجُومَ الْكُؤُوسِ فَذَا زَالَ كَوْكُبُهَا زَاهِرًا
وَأَسْمَعْتَنَا لَاحِنًا فَاتِنًا وَأَحْضَرْتَنَا لَاعِبًا سَاحِرًا
وَنَدَاهُ . ثَانٍ لَالْعَابِهِ دَقَائِقُ تَلْنِي الْحِجَا حَاطِرًا
وَفِي سَوْرَةِ الرِّاحِ مِنْ سِحْرِهِ خَوَاطِرُ ، دَلَّهَتْ الْخَاطِرَا
إِذَا وَرَدَ الْإِلْحَظْ أَثْنَاءُهَا فَا الْوَهْمُ عَنْ وَرْدِهَا سَادِرًا
وَمِنْ حَسَنِ دَهْرِكَ إِبْدَاعِهِ فَا انْفَكَ عَارِضُهَا مَاطِرًا
وَسَمْعُكَ يَجْتَلِبُ الْمُغْرِيَاتِ فَيَجْمَلُ غَائِبُهَا حَاضِرًا

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان

أهدى المنذرُ الأكبر^(١) إلى أنوشروانَ ، جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمرَ النَسائيّ ، وكتب إلى أنوشروانَ يصفها فقال :

إني قد وجهتُ إلى الملك جاريةً مُعتدلةَ الخلقِ ، نقيّةَ اللونِ والشَّعرِ ، بيضاءَ قَمَرَاءَ ، وطفاءَ كَحَلَاءَ ، دَعَجَاءَ عَيْنَاءَ ، قَنَوَاءَ شَمَاءَ ، بَرَجَاءَ زَجَاءَ ، أُسَيْلَةَ الْخَدِّ ، مَهْيَةَ الْمَقْبَلِ ، جَنَلَةَ الشَّعْرِ ، عَظِيمَةَ الْهَامَةِ ، بَعِيدَةَ مَهْوَى الْقُرْطِ ، عَيْطَاءَ عَرِيضَةَ الصَّدْرِ ، كَاعِبَ الثَدْيِ ، ضَخْمَةَ مِشَاشِ الْمِنْكَبِ وَالْعَضُدِ ، حَسَنَةَ الْمِعْصَمِ ، لَطِيفَةَ السَّكْفِ ، سَبْطَةَ الْبَنَانِ ، ضَامِرَةَ الْبَطْنِ ، خَمِيصَةَ الْخِصْرِ ، فَرَّتِي الْوِشَاحِ ، رَدَاحَ الْإِقْبَالِ ، رَابِيَةَ السَّكْفِ ، لِفَاءَ الْفَخِذَيْنِ ، رَبَاءَ الرِّوَادِفِ ، ضَخْمَةَ الْمَاكَمَتَيْنِ ، مُفْعَمَةَ السَّاقِ ، مَشَبَعَةَ الْخُلُخَالِ ، لَطِيفَةَ الْكَعْبِ وَالْقَدَمِ ، قُطُوفَ الْمَشَى ، مَكْسَالَ الضُّحَى ، بَصَّةَ الْمَتَجَرِّدِ . وهى سموع للسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخُنْسَاءَ وَلَا سَفْعَاءَ ، دَقِيقَةَ الْأَنْفِ ، عَزِيزَةَ النَّفْسِ ، لَمْ تُغَدِّ فِي بَوْسٍ ، رَزِينَةَ حَلِيمَةٍ ، رَكِينَةَ ، كَرِيمَةَ الْحَالِ ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَتُسْتَفْنَى بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جُمَاعِ قَبِيلِهَا ، قَدْ أَحْكَمَتْهَا الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلُ الشَّرَفِ ، وَعَمَلَهَا عَمَلُ أَهْلِ الْحَاجَةِ ، صَنَاعَ الْكَافَيْنِ ، قَطِيعَةَ اللِّسَانِ ، رَهْوَةَ الصَّوْتِ ، سَاكِنَةَ ، تَرِينُ الْوَلَى ، وَتَشِينُ الْعَدُوَّ .

إِنْ أُرِدْتَهَا اشْتَبَهَتْ ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا انْتَهَتْ .

فارس عربي جميل

حكى محمد بن إسحاق^(٢) قال : كنت مشغولاً بأخبار العرب وأشعارها وأذكر أنها من أغرب الأشعار . وأميل إلى ذكر أيام العرب ، وأحبُّ أن أستمعها وأجمعها ، فنزل علينا في بعض الأيام فتيان من بني ثعلبة ، فذهبت إليهم لأسمع من أشعارهم وأجمع من أخبارهم ،

(١) في العزيز الخليل ص ٧٦٢ .

(٢) في الأغاني ج ٢ ص ٢٩ .

فروت بفناء خيمة ، وإذا غلام ما رأيت مثله قط حسناً وجمالاً . له ذؤابتان كأنهما السبع المنظوم ، تحت ذلك وجه كالقمر ليلة تمة . وعنده امرأة أحسن منه وأجل ، وأكثر ما أسمع من كلامها (يا بُنى) ، وهو يبتسم لها وقد غلب عليه الحياء كأنه كاعب عذراء ، ولا يرُدُّ لها جواباً من الاستحياء . فاستحسنت ما رأيت منهما ، فدنوت من الجباء ، فبصرت المرأة بي . ثم قالت لي : يا حصري ، ما حاجتك ؟ . فقلت : لاجبة لي إلا الذي استحسنت منك ومن هذا الغلام . فقلت : أتحب أن أسمعك شيئاً من خبره ، وهو خير لك من نظره ؟ . فقلت لها : هاتي لله درُّ أهلك . فقلت لي : إني حملته تسعة أشهر ، فسكننا في عيش ضنك كدير ، ورزقي نزرٍ حقير ، حتى إذا شاء الله أن أضعه ، فوضعتُه - بحمد الله خلقاً سيوياً ، فلا وأبيك ما هو إلا أن وضعتُه حتى من الله علينا ، وأجزل وسهل وتفضل ، بئمن وجهه وسعادة طلعتَه . فسَمَّيْتُهُ (مَالِكاً) ثم أرضعته حولين كاملين . فلما استتم الرضاع ، نقلته من المهد بيني وبين أبيه ، فنشأ بيننا كأنه شبل أسد ، نقيه برد الشتاء وحر الصيف . فلما مرَّ عليه خمسة أعوام ، دفعته إلى مؤدِّب يملِّمهُ القرآن ، فقرأه وتلاه ، ونظم الشعر ورواه ، حتى أتمَّ سبع عشرة سنة ، فأركبته عتاق الخيل فتفرَّس ، وحمل السلاح فتشرَّس ، ومشى بين بيوت الحى ، وأصغى إلى صوت الصاريخ ، وأنا خائفة عليه وجلة مشفقة من الألسنة أن تشينه ، ومن الألفاظ أن تعينه ، حتى شاء الله أن تصيبنا سنون أجديت بلادنا ، وكاد يهلك كبارنا وأطفالنا ، فخرجنا إلى مناهل غير مناهلنا ، ونزلنا في غير منازلنا ، فخرج أصحابنا لطلب ثأرهم ، وخلفه عن الركوب معهم وجع أصابه ، فلا وأبيك ما علمنا حتى دهمتنا الخيل من العدو ، ولم يتولنا عقل ، ولا هدونا . فما كان إلا هزيمة حتى حازوا على الأموال ، وانهمز الرجُل ، وهو في البيت يسألني عن الصوت ، وأنا أكايمه خيفة عليه . حتى علَّت الأصوات ، وبرزت الخبأت . فلما سمع ذلك نار كما يشور الليث الغضب ، وأسرج فرسه ، ثم أفرغ عليه لامة حرَّبه ، وتقلَّد سيفه ، واعتقل رُمحه . ثم لحق العدو ،

فطعن أذننى فارس منهم فأرداه قتيلاً ، فرجموا إليه ، فأروهُ ولدًا لطيفاً ، صبيّاً ظريفاً ،
نمطفوا عليه . . . وتلقاهم ضرباً بالسيف ، وطعنوا بالرُمح ، حتى هلك أكثرهم
وفرّ الباقيون !

غنيّه : شحاذّه

لو كان بالصبر الجليل ملاذّه	ماسحّ وابل دمعهُ ورداذّه
مازال جيشُ الحبّ يفزو قلبه	حتى وهى وتقطعت أفلاذّه
لم يبقَ فيه من الغرام بقيّة	إلا رسيسٌ يحتويه جدّاذّه
من كان يرغبُ في السّلامة فليكنْ	أبدًا من الحدقِ المراضِ عياذّه
لا تحذعنك بالفتور فإنه	نظره يضرّ بقلبك استلذاذّه
يا أيّها الرّشأ الذى من طرفه	سهمٌ إلى حبّ القلوبِ نفاذّه
دُرّ يلوحُ بفيك : من نظامه ؟	خمرٌ يجولُ عليه : من نبّاذّه
وقناة ذاك القدّ : كيف تقومت ؟	وسنانُ ذاك اللّحظ : ما فولاذّه ؟
رفقاً بجسمك لا يذوبُ فإننى	أخشى بأنْ يجفُو عليه لآذّه
هاروتُ يَمْجِزُ من مواقعِ سحره	وهو الإمام ، فن تُرى أستاذّه
تالله ما عِلقت محاسنك امرأ	إلا وعزّ على الورى استنقاذّه
أغرّيتُ حبك بالقلوبِ فأذعنت	طوعاً وقد أودى بها استنخاذه
مالى أنيتُ الحظّ من أبوابه	جهدى ، فدام نفوره وليّاذّه
إياك من طمع المني ، فمزّيه	كذليله ، وغنيّه : شحاذّه

العيون

لأعذبّ العين

قال الشاعر^(١) ابن الصّفيّ يصف العيون :

هي التي توقّع القلب في التعب ، وتوفر نصيبه من أسهم الهمّ والنّصب ، وترميه بدواحي
المهوان ودواهي الهوى ، وتسلمه إلى مكايده الغرام ومكايده الجوى ، لوعدّت بطول السّهر
وكثرة الدّموع وبفيض الشّتون وعدم الهجوع ، وبمسامرة الأحزان والفسكر ، وبمراقبة
النجوم إلى السّحر ، وبعدم الإغفاء وطول السّهر - لكان استحقاقها وجودَ جود الدمع وإن
طما ، وعدمَ مئال المنام وإن نما :

لأعذبّ العينَ غيرَ مُفكّرٍ فيما جرت بالدّمع أو سالت دما
ولأهجرنّ من الرقاد لذيذه حتى يعود على الجفون محرّما
هي أوقعتني في حبايل فتنة لو لم تكن نظرت لكنت مسلّما
سفكت دمي فلاسفنّ دموعها وهي التي بدأت وكانت أظلمّا

ولعلّ موجب هذه الواعظة، والألفاظ التي هي بالتحذير لافظة أني خرجت في بعض الأيام
متفرّجاً وسارحاً ، وجائلاً بطرفي في الرياض وسائحاً ، وصحبني صديق لي في المحبة صادق ،
ورفيق لي فيما أروم موافق ، قد ملك كلّ حسنٍ ولطافة ، وجمع كلّ حذقٍ وظرافة ،
بنصبٍ لخدمتي لا يملّ ولا يسأم ، ويتعب في مرّضاتي لا يكلّ ولا يندم ، ويجتهد في موافقتي
لا يئس ولا يئس ، ويحسن مرافقتي لا يندم ولا يندم ، قد اتخذته جُهينة أخباري ، وكنزاً
لخزائن أسرارِي ، لا أستطيع مفارقة وجهه الجليل ، وهو عندي كما قيل :

برؤيى من لا أستطيع فراقه ومن هو أوفى من أخى وشقيقي
إذا غاب عني لم أزل متلفّفاً أدور بعيني نحو كلّ طريق

(١) في لوعة الشاكي ودمعة الباكي .

معانى لفظ العين

للملأمة أأمد السآاعى - المأوفى سنة ١١٩٧ هـ - قصيدة رائعة فى معانى لفظ العين ، وهى فى فنها غريبة - قد أأأوت على معانى فى لفظ (عين) . وقد أمل آروف اسمها فى أوائل أبيتها بالترتيب . وهذه هى القصيدة كما نقلت من آط الشيخ مصطفى البدرى فى كراسة « مجموعة لنوية » :

وقد وضعنا^(١) تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بعده :

أيا ظنى الفلا وكحل عينى ويا بدر الدجى وضياء عين
(الشمس)

أأيت من المسأره ياغزالا آوى كل الكمال بدون عين
(الآيب)

ملكأ القلب منى ياأبى وآق مصطفى الأجرى لعين
(الماء)

أانا للهداية نعم طه رسول قد أبان لأرق عين
(أقيقة القبله)

أمين سآىء ما فىه شك به أهدى الأنام بكل عين
(الناأية)

له ذات ألت من كل سوء وقلب قد آلا من شأ عين
(الآاء)

سما فوق السماء ونال قربا وآأب ربّه وآأى بعين
(النظر)

أمل النفس والأفعال قطعاً صفى آالص من قبح عين
(الميل)

(١) وضع تفسير كل لفظ عين بين (قوسين) المغفور له الملأمة أأمد أيمور باشا وذلك بالمأاد الأهر .

أذاع الخيرَ فينا كلَّ وقتٍ	وعوَّذَ أُمَّةً من شرِّ عَيْنِ
	(إصابة العين)
عَلَا رَتَبًا فَلَيْسَ لَهَا انْتِهَاءٌ	وأُظْهِرَ دِينَهُ لَخِيَارِ عَيْنِ
	(الجماعة)
يُقيمُ مُرِيعةً غُرَاءَ فينَا	بِهَا . . . كم قد هَدَى من كلِّ عَيْنِ
	(الإنسان)
رَوْوفٌ بِالْعِبَادِ رَحِيمٌ قَلْبِ	عَظِيمُ الْقَدْرِ سَيِّدُ كُلِّ عَيْنِ
	(الكبير)
كَرِيمٌ مُنْتَقَى ، بِحَرِِّ الْمَطَايَا	فَكَمَّ مَنَحَ الْأَنَامِ جَزِيلَ عَيْنِ
	(المال)
عَظِيمٌ مُجْتَبَى قَدْ ظَلَلَتْهُ	لَدَى حَرِّ عَظَائِمُ كُلِّ عَيْنِ
	(السحاب)
خَلِيلُ اللَّهِ أَحَدُ ذُو كَالٍ	مَجِيرُ النَّاسِ مِنْ لَحْظِ بَعَيْنِ
	(المطر)
رَحِيمٌ بِالْعِبَادِ سَرِيعٌ بَأْسِ	عَلَى قَوْمٍ لثَامٍ مِثْلَ عَيْنِ
	(الطائر)
كَبِيرُ الْقَدْرِ فِي الدَّارَيْنِ حَقًّا	مُغِيثُ النَّاسِ مِنْ حَرِّ لَمَعَيْنِ
	(شعاع الشمس)
رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَ لَنَا مَلَاذٌ	لَنَا فِيكَ الرَّجَا يَنْسَلُ عَيْنِ
	(الخيار)
فَكَمْ صَرَفَتْ عَنَا مِنْ كُرُوبٍ	بَدُنِيَا ثُمَّ أُخْرَى عَمَدَ عَيْنِ
	(الجد واليقين)
وَخَلَقْتَكَ مَبْدَأُ الْأَشْيَاءِ حَقًّا	حَبِيبِي أَنْتَ أَوَّلُ كُلِّ عَيْنِ
	(الشيء)

عليك الله صلى مع سلام أصولك مثل ذا من هم كعين
(الذهب)
وال ثم أصحاب جميعاً فهم بذلوا لدين كل عين
(الدنيا أو النفس)
وكم قضبوا بسيف الله رأساً من الأعداء . وكم قهروا لعين
(الشديد)
وكم أحيا بهم ربى علوماً منيية ومنها ذات عين
(الحضور)
كذا أتباعهم ما قال عبد : أيا ظبي الفلا وكحيل عين
(الباصرة)

وصف العين وأسماء أجزائها

في أول كتاب « سحر الميون » : الباب الخامس في وصف العين وأسماء أجزائها
وعيوبها الخلقية وغيرها . قال المؤلف :

اعلم يا نور الأعيان ، وأعز من إنسان عيون الأجمان ، أن - (مقلة العين) في اللغة هي :
الشحمة التي تجمع السواد والبياض ، سُميت بذلك من قولهم : مقلت الرجل في الماء :
إذا غوصته فيه ، وتماقل الرجل في الماء : إذا غاص فيه ، وتماقل الرجلان في الماء : إذا تناوصا
فيه ليعلم أيهما أصبر على النوص ، فلما كانت - حبة العين غائصة في مائها سُميت : المُقَلَّة ،
ويقال : ما مقلت عيني مثل فلان : أى : ما نظرت ، قال الشيخ شهاب الدين أحمد الحاجي :

لها عين لها غزل وغزل مكحلة . ولي عين تبأكت
وحاكت في فعيلها المواضي فيالك مقلة غزلت وحاكت

و (الحدقة) . هي السواد الأعظم (في العين) سُميت بذلك لأن البياض مُحَدِّقُ بها ،

ويقالُ : أَحَدَقَ الْقَوْمُ بِهِ وَحَدَقُوا بِهِ - لَفَتَان - أَيْ : أَطَافُوا بِهِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ .
وقال الشريف الرضي :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تَنَاسَى وَقَدْ رَأَيْتَ سَيْنَاكَ كَيْفَ مَصَارِعُ الْعُشَّاقِ ؟
فَتَكْتَبُكَ الْحَدَقُ الرَّاغِبُ وَلَمْ تَزَلْ تَسْتَجِي الْقُلُوبَ جَنَائِيَةُ الْأَحْدَاقِ

و (الناظرُ) : السَّوَادُ الْأَسْفَرُ الَّذِي يُبَيِّنُ فِيهِ الرَّائِي شَخْصَهُ ، وَالْعَرَبُ يَقُولُ : هُوَ مِثْلُهَا ، وَإِنْسَانُهَا ، وَدَوَابُّهَا ، وَنَاطِرُهَا ، وَبَصَرُهَا ، وَضِيئُهَا ، وَغَيْرُهَا وَلُغَبُهَا ، وَبُؤْبُؤُهَا ، وَتَمَثَّلُهَا ، وَسَوَادُهَا ، وَحَبُّهَا ، وَمَذَلِكُهَا .

قال ابن مطرفٍ : وهذه الأسماء كلها لموضع البصر الذي في حاسة البصر ، والجمعُ : نَوَاطِرُ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَى الرَّائِي صُورَةَ نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ لُصْفَانَهُ ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى صِحَّةِ الْحَاسَةِ بِمَا تُخَيَّلُ فِيهِ .

و (الناظران) - أَيْضاً : عِرْقَانِ فِي الْعَيْنِ يَسْقِيَانِ الْأَنْفَ ، يُقَالُ إِنَّهُ لَمُتَرَفَعُ النَّاطِرَيْنِ ، وَيُقَالُ لِلَّذِي اسْتَحْيَى مِنْ أَمْرٍ : خَفَضَ لَهُ نَاطِرِيهِ ، وَالنَّاطِرُ يَجْمَعُ عَلَى : نَوَاطِرُ . قال شارح كتاب الفصيح : نَظَرْتُ لِعَيْنِي وَنَظَرْتُ : انْتَهَضْتُ وَتَنَظَّرْتُ .

و (نظرت) بمعنى : رَحِمْتُ وَتَفَكَّرْتُ . وَأَنْظَرْتُ الرَّجُلَ : أَخَّرْتُهُ ، وَأَنْظَرْتُهُ : جَعَلْتُهُ يَنْتَظِرُنِي ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (انظرونا) أَيْ : أَمْهِلُونَا : قَالَ الشَّيْخُ بَرَهَانَ الدِّينَ الْقِيَرَاتِي :

يَا قَاتِلِي بَنَوَاطِرِي أَجْفَانُهَا بِسُيُوفِهَا الْأَمْثَالُ فِينَا تُضْرَبُ
قُلُوبُ لِلنِّزَالِ أَوْ الْغَزَاةِ إِذْ رَنَتْ أَوْ لَاحَ يَهْرَبُ ذَا ، وَتِلْكَ تَغَيَّبُ

و (الحمايق) : هِيَ بَوَاطِنُ الْأَجْفَانِ ، وَاحِدُهَا حِمْلَقٌ - قَالَ ابْنُ مَعْرُوفٍ : هِيَ الَّتِي تَرَاهَا إِذَا قَلَبْتَ لِلْسُّكْحَلِ - مَحْمُورَةً . وَقَالَ الزَّيَّيْدِيُّ : الْحَمَائِقُ : نَوَاحِي الْعَيْنِ ، وَيُقَالُ لِلْمُؤَخَّرِ الْعَيْنَيْنِ مَمَالِي الصُّدُغَيْنِ : الْحَقِيمَانِ ، الْوَاحِدُ حَقِيمٌ . وَالْأَشْفَارُ هِيَ حُرُوفُ الْأَجْفَانِ الَّتِي يَنْبُتُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ ، وَالوَاحِدُ شَفْرٌ ، وَمِنْهُ شَفِيرُ الْوَادِي ، وَشَفِيرُ كُلِّ شَيْءٍ حَرَفُهُ .

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

إِذَا كَانَ شَفْرُ الْعَيْنِ فَوْقَ مَحَلِّهَا فَعِنْدِي أَنَا الْأَشْفَارُ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْنِ

و (الأهدابُ) : الشعرُ النابت عليها ، واحدها : هُدْبٌ - بضمّ الهاء وسكون الدال المهملة ، قال الشيخ برهان الدين :

أهدابٌ لَحِظْتُكَ للورى شركَ فَنُ أَوْثَقَتْهُ فَيَهِنٌ لَا يَتَفَلَّتُ
كَيْفَ النِّجَاةُ وَرُمِحُ قَدَّكَ مُشَرَّعٌ؟ كَيْفَ الْخِلَاصُ وَسَيْفُ لَحِظِكَ مُصَلَّتٌ؟
(والمحجرُ): ما دار بالعين، وهو ما يبدو من البرقع والنقاب، وجمعها محاجر، ويقالُ:
مَحْجَرٌ - بفتح الميم وكسر ها، وفتح الجيم وكسر ها أيضاً، وإنما سُمِّيَ المحجر محجراً لأنه
مفعل من الحجر وهو المنع، فكأنه مانعٌ عن العين من جميع جهاتها، ومنه الحجرة
الحيطه بالجدير، والجمع: الحجرات .

قال الأمير سيف الدين المشد وأجاد :
إِنَّ الْعِيُونَ لَكَ الْحَصُونُ : فَهُدْبُهَا مُرْفَاتُهَا ، وَجُفُونُهَا الْأَسْوَارُ
وكذا محاجرُها : الخنادقُ حَوْلَهَا وَالْحَافِظُونَ بِهَا هُمُ الْأَنْوَارُ
و (الموق) و (الموقُ) : هو طرفُ العينِ مما يلي الأنفَ، وهو مخرجُ الدمع من العينِ،
ولسلكُ عينِ موقان، وفي الموقِ وفي جمعه لُغَاتٌ كثيرةٌ يقالُ : مَاقٌ - بالهمز، وجمعه آماق،
وموقٌ - غير مهموزٍ، وجمعه أمواقٌ وأماقٍ ومَاقٍ . والمقية - لُغَةٌ في الماقِ أيضاً، والجمع
مُقَى . والماقُ : مقدمها . وقيلَ : الموقُ مؤخَّرُ العينِ، ومَاقٍ يُجْمَعُ عَلَى مَوَاقٍ مِثْلُ قَاضِي
وَقَوَاضٍ . وفي الحديث : « كَأَن يَكْتَحِيلُ مِنْ قَبْلِ مَوْقِهِ مَرَّةً وَمِنْ قَبْلِ مَاقِهِ أُخْرَى » .
قال المتنبي يمدحُ كافور الأَخشيديّ :

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ وَرَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِقَا
فَجَاءَتْ بِهِ إِنْسَانٌ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بِيَاضًا خَلْفَهَا وَ (أَمَاقِيَا)
و (الألحاظُ) : جمعُ لَحْظٍ، وهو مؤخَّرُ العينِ الذي يلي الصدغَ وجمعُها لحاظٌ، ولواحظُ.
فأما اللحظةُ فهي النَّظَرَةُ وجمعُها : لَحَظَاتٌ فِي الْقَلِيلِ، واللحظ في الكثير، ويجوز أن
يجعل موضعَ اللَّحْظَةِ . يقالُ : لحظَ العين - مثل رأى العين ويقالُ : لحظَ السماء بطرفه يلحظ
لحظاً فهو لاحظ .

قال شيخ الشيوخ الأنصارى بحماسة :
يا نظرةً قَدْ جَلَّتْ لِي حُسْنَ طَلْعَتِهِ حَتَّى انْقَضَتْ وَأَدَامَتْنَا عَلَى وَجَلٍ
عَاتَبْتُ إِنْسَانَ عَيْنِي فِي تَسَرُّعِهِ فَقَالَ لِي : خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ
(والطرف) : هو مآلٌ بأحد السَّوَادَيْنِ : السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَالسَّوَادِ الْأَصْغَرَ . قال ابنُ مُطَرَفٍ :
« طَرَفُ الْعَيْنِ تَحْرُكُ أَشْفَارُهَا » ويقال : طَرَفَةُ عَيْنٍ ، وَالْعَيْنُ الْمَطْرُوفَةُ مِنْهُ مَأْخُودٌ ، وَهُوَ
أَنْ يُصِيبَ سَوَادُهَا شَيْءٌ فَيَتَأَذَّى صَاحِبُهَا بِهِ ، وَرَبْمَا أَبْطَلَهَا . وَهِيَ « الطَّرَفَةُ » قال الشيخ
علاء الدين الوداعي :

كَمْ دَمَاءٌ مَطْلُوعَةٌ فِي هَوَاهُ وَبِهَا وَرْدٌ خَدِّهِ مَطْلُوعُ
وَحَدِيثٌ مِنَ السَّقَامِ صَحِيحٌ قَدْ رَوَاهُ عَنْ طَرَفِهِ مَكْحُولُ
و (الْقَبْلُ) هُوَ مَيْلُ الْحَدَقَةِ فِي النَّظَرِ إِلَى الْأَنْفِ . وَأَنشَدَ الثَّمَالِيُّ وَقَدْ اسْتَحْسَنَهُ
فِي « فقه اللُغَةِ » لَهُ - قَوْلَ ذِي الرِّمَّةِ :

أَشْتَهَى فِي الطِّفْلِ الْقَبْلَ لَا كَثِيرًا يَشْبَهُ الْحَوَلَا
وَقَالَ جَرِيرٌ :

وَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمِجُّ دَمَاءُهَا بِدَجَلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجَلَةٍ (أَشْكَلُ)
وَقَوْلُ عَلَاءِ الدِّينِ الْبُديوي :

أَنَا جَدُّ أَنْصَارِ النَّبِيِّ لِأَنِّي يَا أَزْرَقَ الْعَيْنَيْنِ عَبْدُ (الْأَشْهَرِ)
وَأَنشَدَنِي الْمَوْلَى أَبُو الْفَتْحِ عَمْدُ الرِّسَامِ الْأَزْهَرِيُّ :

رَنْتَ رَمَتْ فَاصَابَتْ قَلْبِي ، وَأَذَكْتَ لَهْيِي
فَهُوَ الْمَصَابُ بِمَيْنٍ (شَهْلَاءُ) وَهِيَ الْمُصِيبَةُ

وَقَالَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ نَبَاتَةَ :

وَأَغْيَدُ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ يَمِجُّبُنِي كَأَنَّمَا هُوَ مَخْلُوقٌ عَلَى شَرَطِي
أَجْفَانُهُ السُّودُ مَا تُخْطِي إِذَا رَشَقَتْ سَهَامَهَا ، وَسَهَامُ اللَّيْلِ مَا تُخْطِي

وقال علاء الدين الوداعى :

رمتنى سودُ عينيهِ
وما فى ذاك من بدعٍ
فأصممتنى ، ولم تبطى
سهمُ الليل ما تخطى

وقال شهاب الدين الزعفرى :

ملك على العشاق ، سكران طرْفهُ
شكوتُ إليه أسرَ قلبى فى الهوى
فلا عجبٌ للَحْظِ منه يُمرِّدُ
فوقَّع لى : سحرُ الجفون يُخلدُ

وقال بشار بن برد :

يا من برايق ريقه يحى الورى
من سحر عينيكَ المِهابة تعلمتُ
وبسحر عينيهِ النَّواعس تُقبلُ
وكذلك الغزلانُ منها تغزلُ

وقال ابن عباد :

ونظرون من خللِ السُّتور بأعينٍ
وله أيضاً :
مرضى يُخالِطها السَّقَامُ صحاح
وسنانٌ قد خدع النَّعاسُ جُفُونَهُ

مذ غصَّ طرفاً بالحياء فإننى
منه استحييت بأن أقبل مؤنسٍ
فحكى بعقلته ذبول النرجس

وقال النزرى :

كأنما سوادُ عينٍ مُنيقٍ
لا تُكسروا مقاتلى تجاهلاً
مع علمكم بأنها لوامة
كمنبرٍ يا أنفساً لوامة

وقال الشهاب بن القطان :

شاقى (مارس) قولُ
وابتنى التَّمرىضَ ، قلنا :
زهره حاكى عُيونك
لَعَنَ اللهُ قرونك

آفة النظر وغائلته

وكنّت إذا أرسلت طرفك زائراً
رأيت الذي لا كَلَّه أنت قادر
ولأبي العباس الصيبي :

قم فاسقني بين خفق الداي والعمود
كأساً إذا أبصرت في القوم محتشماً
نحن الشهود وخفق العمود خاطبنا
وله أيضاً :

يقرّ الله عينك يا جفوني
ويا عيني لك البشرى فنامي
رغبت عن الهوى وهربت منه
وله أيضاً :

سقتني لثروى الراح روحاً وحققت
على زجس حيّ به فكأنتها
وله أيضاً :

إذا ضاق صدري وخفت العدا
فبالله نبلغ ما نرتجى
وله أيضاً :

يضيّب البدر يوماً ثمّ يبدو
إذا لم تطلع الإثنين عصراً
وله أيضاً :

ولقد مررت على الأطباء وصادني
تعدّدت لوحظه إلى بأسهم
ظيّر وعهدى بالطباء تصاد
أغراضها الأرواح والأجساد

وله أيضا :

صبّ المداد وما تعمّد صبّه
فتورّد الخد البديع الأزهر
يا من يؤثر حبره في ثوبنا
تأثير لحظك في فؤادي أكثر

وله أيضا :

من شاء عيشاً رخياً يستفيد به
فليُنظرن إلى ما فوقه أدباً
في دينه ثمّ في دنياه إقبالا
ولينظرن إلى من دونه مالا

وله أيضا :

أدرك بقيّة نفس روحها رموق
وإنما سالت منها بقيّتها
وقد أذابت هموم النفس أكثرها
لأنها خفيت ضعفاً فلم ترها

وله أيضا :

ألا حل بي عجب حاجب
رأيت الهلال على وجه من
تقاصر وصفى عن كنهه
وقال آخر في شوق إلى حبيب :

إن نبت عن ناظرِي فأنتم
والظنّ أن لا تخون عهدي
في القاب يا غاية التمني
لا خيب الله فيك ظني

تعدد الزوجات والأزواج

هند وأبو سفيان (١)

كان مسافر بن عمرو بن أمية ، يهوى هندًا بنت عُتْبَةَ بن ربيعة ، وله فيها شعر يغنى به . فلما فارقت زوجها النماكة بن المنيرة ، خطبها إلى أبيها ، فلم ترض ثروته وماله ، فوفد على « النعمان » يستعينه على أمره ، ثم عاد فكان أول من لقيه أبو سفيان ، وعلم منه أنه تزوج هندًا .

وكان مسافر من أحسن فتيان قريش جمالًا وشعرًا وسخاءً ، وقد عشق هندًا وعشقتة ، فأنهم بها . وقال بعض الرواة : إنها حملت منه ، فلما بان حملها أو كاد ، قالت له : اخرج . فخرج حتى أتى الحيرة ، وأقام عند عمرو بن هند ينادمه ، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر ، فسأله عن قريش ، فكان مما قال له أنه تزوج من هند بنت عتبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه ، حتى استسقى بطنه .

وروى معروف بن خربوذ أن مسافرًا قال في ذلك :

ألا إن هندًا أصبحت منك سحرًا وأصبحت من أدنى حموتها رحي
وأصبحت كالقمور جفن سلاحه يقبُّ بالكفين قوساً وأسمها

حكمة التعدد في الاسلام (٢)

إنه لمعلوم أن جميع كلام النبوة شرح للقرآن . قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » وإذا تتبعنا القرآن العظيم لم نجد يذكّر المؤمنين إلا ومعهم المؤمنات ،

ولا المسلمين إلا ومعهم المسلمات ، ولا الصّائمين إلا ومعهم الصّائمات . قال تعالى : « وَمَنْ يَمَلَّ مِنْ الصّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا » وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وقال تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصّادِقِينَ وَالصّادِقَاتِ وَالصّابِرِينَ وَالصّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصّائِمِينَ وَالصّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » هو الجنّة وما فيها . وهكذا في غير ما آية .

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف ، فسيفف بنفسه على ما ذكر . فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب ، وعليهن ما عليهم من العقاب ، لافرق بين حرٍّ ورقٍّ ، ومولى وعتيق .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة غاب عنها زوجها حفظت غيبته في نفسها ، وطرحت زينتها ، وقيدت رجلها ، وأقامت الصلاة ؛ فإنّها تُحشَر يوم القيامة عذراء طفلة ، فإن كان زوجها مؤمنًا فهو زوجها في الجنّة ، وإن لم يكن زوجها مؤمنًا زوجها الله من الشهداء » . فكيف يتوهم ممن اتصف بالعدل فضلًا عن اتصافه بالفضل ، أن يضئع عمل عامل ، أو يحرم الراجي فضله الشامل ؟

وهنا تمرّض مستشرق إنكليزي في سياق حديث رواه المؤلف وقال : لو علمت نساء أوروبا بقولك لأحبين دين الإسلام ، لكن ربّما يمنعنّ شيء آخر أشقّ عليهنّ من كلّ شيء ، وأضرّ . . هو اتخاذ الرجل منكم عددًا من الزوجات .

وردّ على المستشرق بأنّه لا دخل لتمدّد الزوجيّة ولا لدين النصرانيّة في إحياء العلوم الأدبيّة ولا تقدم الفنون والصنائع الدنيويّة ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوروبيون إلى اليونان ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه ، فالعرب للأوروبيين في كلّ ما علّموه ملاذ ، واحتياجهم إليهم كاحتياج المتعلم إلى الأستاذ .

وأما ما كان من أمر تعدّد الزوجات فليس هذا خاصاً بالمسلمين؛ بل هو عام لهم ولغيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوزون التعدّد أيضاً، فقد رأيت في بعض كتب التواريخ، نقلاً عن دانيال القسيس، أن ملوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعدّدات، مع أنهم كانوا متديّنين بدين النصرانيّة. ومن ثمّ كان لكلّ من غنطران وشرير وداغوير الأوّل ثلاث زوجات، ولعمّ داغوير، وهو فلودمير أربع زوجات في آن واحد.

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميلاد، كتب البابا غرينور الثالث إلى الواعظ بدسقاس، حين أرسل إليه يسأله عن جواز التزوّج بامرأة ثانية: « إذا أصيبت المرأة الأولى بداء يمنّعها عن القيام بحقوق الزّوج، جاز له أن يتزوّج بامرأة أخرى، وعليه للعصاة مؤثّمها الصّوريّة ».

ولعلّ الحكمة في إباحة تعدّد الزوجات عند المسلمين، وعند كلّ من كان على رأيهم، أن التدبير الإلهي لم يميّز الرّجل بقوة البنية، وطول زمن التّناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعذار المعتادة للنساء في أوقات معيّنة، كالحيض والنفاس، راعى الشرع جانبه لذلك.

وأما حكمة الأفراد التي عوّل عليها النّصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم باطرادها في كلّ طبيعيّة، ولا بأنّها تقطع ما يخشونه من المفساد. فقد أتى زمن يمنّع فيه كثير من الأمور الفظيعة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنّة ونحو ذلك.

فقال المستشرق الإنكليزي: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرّة، فرأيت في السورة الثالثة مآظاهرة الأمر بضرب النساء، مع أنه يُخلّ بشرف الإنسانيّة. فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلا إذا علم الزّوج منها خلاف ما كان يعمّده، على أنّه ليس له ذلك من أوّل الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدّبها بالهجر، فإن لم يُجدِ الهجر ضربها، بشرط ألا يضرّ بها، وألا يخرج على حُسن العشرة المأمور به

في القرآن ، الذي جعل التشديد عليهن مذموماً ، وصير من عاقبن على كل ما فرط منهن ملوماً ، كقوله تعالى : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ » .
وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « احموا النساء على أخلاقهن » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبي ، فإذا طُلبَ ما عنده وَجِدَ رَجُلًا .

وقال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم : « ما حقُّ زوجة أحدنا عليه ؟ » قال : أن تُطعمَها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر ، إلا في البيت . ومعنى لا تقبح : لا تسمعها المكروه ولا تشتمها أو لا تقل لها : قبحك الله ونحو ذلك .

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثير مما يعظم أمر النساء ويوجب رعايتهن والمبادرة إلى القيام بحقوقهن . وهل حرية النساء إلا أن يبلنن حقوقهن على أزواجهن ، حسبما تقتضيه المروءة ، وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لهن من خصائص الرجال .
وليس فيما يقبل العقل المنزه عن المعصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليتهن وما اشتبهن ، مع ما يشاهد في الأكثر من غلبة فمواتهن وأهوائهن على عقولهن .

المرأة التي تزوج عليها زوجها

في « سبحة المرجان »^(١) أشعار عن غيرة المرأة التي يتزوج عليها زوجها ، منها قول ابن المعتز :

خبروها بأنني قد تزوج	ت فظلت تكاتم النيط سراً
ثم قالت لأختها ، ولأخرى	جزعاً : ليته تزوج عسراً
وأشارت إلى نساء لدينها	لا ترى دونهن للسراً سترًا
مالقلي كأنه ليس مني	وعظاى أخال فيهن فترا

(١) سبحة المرجان ص ٢٥٧ أشعار .

عدم زواج الرجل بمن يهواها

معلوم أن العرب^(١) كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها ، وكان يتحاشى السلام عليها لئلا يعرف بها .

قال أبو رياش : كان الرجل إذا عُرف بحبِّ امرأةٍ لم يزوّجوه إياها . وكان إذا سلّم عليها عُرف أنه يهواها ، وقد يسلم عليها وإن كان في السلام يأْس منها وهذا من إفراط شوقه وغلبة هواه .

رؤية الرجل المرأة عند تزوّجها (١)

قال الأصمعي : الحُسْنُ في العينين ، والجمال في الأنف ، والملاحة في الفم .
وقالت امرأة خالد بن صفوان له : إنَّك لجميل يا أبا صفْوَان . فقال : كيف وليس عندي رداء الجمال ، ولا برُئْسُه ولا عموده . إنَّ رداءه ألبياض وأنا آدم ، وعموده الطول وأنا رُبْعَةٌ ، وبرُئْسُه سواد الشعر وأنا أشمط . ولسكن قولي : إنَّك مليح ظريف .

وروى أن النبيّ - عليه الصلاة والسلام - خطب امرأة ، فأرسل عائشة - رضى الله عنها - لتنظر إليها ، فلمّا رجعت إليه قالت : ما رأيت طائلاً . فقال : بلى ، لقد رأيت خالاً في خدّها اقشعرت منه كلّ شعرة في جسديك .

وقالت عائشة - رضى الله عنها - تصف شعورها حينما رأت جويرية بنت الضحّاك لأوّل مرة : والله ما هو إلّا أن رأيته على باب حجرتي ، فكهرتها . وفي ذلك ما يدلّ على ما كان عليه أزواج النبيّ - صليّ الله عليه وسلم - من النيرة عليه ، والعلم بموقع الجمال عنده . أما نظره - عليه الصلاة والسلام - إلى جويرية حتّى عرف من حسنّها ما عرف ، فذلك لأنّها كانت مملوكة ، لو كانت حرّة ما ملأ عينيه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء . وجاز أن يكون نظره إليها لأنّه نوى تزوّجها .

(١) التبريزي على الحماسة ج ١ . (٢) في الروض الأنف .

وروى أن امرأة قالت للنبي صلوات الله عليه : إني قد وهبت نفسي لك يا رسول الله . فصعد فيها النظر ثم صوب ثم أنكحها من غيره .
وثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها . وقال للغيرة حين شاوره في نكاح امرأة : « لو نظرت إليها فإن ذلك أحرى أن يؤدَمَ بينكما » . وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بثينة بنت الضحاك .
وقد أجاز مالك في إحدى الروايتين عنه . ذكرها ابن أبي زيد .
وفي مسند البزار : « لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزوجها وهي لا تشعر » .

وفي تراجم البخاري في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال لعائشة - رضي الله عنها : أريتك في المنام يحىء بك الملك في سرقة من حرير ، فكشف عن وجهك ، فقال لي : هذه امرأتك . فقلت : إن يكن من عند الله يُخَصِّصُهُ ، وهذا استدلال حسن . وفي قوله : إن يكن من عند الله سؤال - لأن رؤياه وحى ، فكيف يشك في أنها من عند الله . والجواب : أنه لم يشك في صحة الرؤيا ، ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها ، وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميه فمن هاهنا تطرق الشك ما بين أن تكون على ظاهرها ، أو لها تأويل .

وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث : لا يخلو نظره عليه الصلاة والسلام إليها من أحد الأمرين ، أو يكون ذلك قبل أن يضرب الحجاب . وإلا فقد قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » .

والنبي - صلى الله عليه وسلم - هو بغير شك إمام المتقين وقدوة الورعين . وجورية هي بنت الضحاك بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ . وتوفيت في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين أو خمس وخمسين من الهجرة .

رايات من خمر النساء (١)

وَجَّهَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ... عُبَيْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ وَالْيَا عَلَى الْبَصْرَةِ ، وقال له : يا عُبَيْبَةُ ، إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى أَرْضِ الْهَمْدِ ، وَهِيَ حَوْمَةٌ مِنْ حَوَامَاتِ الْعَدُوِّ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا حَوْلَهَا ، وَيُعِينِكَ عَلَيْهَا . . . فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ الْعَدُوُّ ، فَاسْتَشِرْهُ ، وَادْعُ إِلَى اللَّهِ ، فَمَنْ أَجَابَكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُ ، وَمَنْ أَبَى فَالْجُزْيَةُ ، وَإِلَّا فَالسَّيْفُ ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا وُلِّيتَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَنَازِعَكَ نَفْسُكَ إِلَى كِبَرٍ مِمَّا يُفْسِدُ عَلَيْكَ إِمْرَتَكَ ، وَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمَزَّزْتَ بِهِ بَعْدَ الدَّلَّةِ ، وَقَوَّيْتَ بِهِ بَعْدَ الضَّعْفِ ، حَتَّى صَرْتَ أَمِيرًا مُسَلِّطًا ، وَمَلِكًا مُطَاعًا ، تَقُولُ فَيُسْمَعُ مِنْكَ ، وَتَأْمُرُ فَيُطَاعُ أَمْرُكَ ، فَيَأْتِيهَا مِنْ نِعْمَةٍ ، فَاحْتَفِظْ مِنَ النِّعْمَةِ احْتِفَاطَكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، وَلَعَلَّيْ أَخَوَفُهُمَا عِنْدِي عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَدْرِجَكَ وَتُخَدِّعَكَ فَتَسْقُطَ سَقْطَةً تُصِيرُ بِهَا إِلَى جَهَنَّمَ ، أَعْيِذُكَ بِاللَّهِ وَنَفْسِي مِنْ ذَلِكَ . إِنَّ النَّاسَ أَسْرَعُوا إِلَى اللَّهِ حَتَّى رُفِعَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا فَأَرَادَوْهَا ، فَأَرَادَ اللَّهُ وَلَا تُرِدِ الدُّنْيَا . وَاتَّقِ مَصَارِعَ الظَّالِمِينَ . انْطَلِقِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي أَقْصَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأَدْنَى أَرْضِ الْعِجَمِ ، فَأَقِيمُوا . فَسَارَ عُبَيْبَةُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَأَقَامَ بِالْبَصْرَةِ ، ثُمَّ سَارَ عُبَيْبَةُ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ لَقِيَهُمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ مِنَ الْفَرَسِ ، فَاقْتَتَلَ الْفَرِيقَانِ .

وقال نساء المسلمين : لو لحقنا بهم فكنا معهم ، فَأَتَّخَذُوا مِنْ مُخْرِجِهِنَّ رَايَاتَ ، وَسَرَنَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ؛ فَلَمَّا رَأَى الشُّرَكَاءُ الرَايَاتِ ، ظَنُّوا أَنَّ مَدَدًا لِلْمُسْلِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ ، فَاهْزَمُوا ، وَظَفَرَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ !

كشف وجه المرأة في الإحرام

قالت عائشة - رضى الله عنها^(١) : لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء ، لمنعهن من المساجد .

وسئل عقيل - عن كشف المرأة وجهها في الإحرام ، مع كثرة الفساد في زمانه أهو أولى أم التغطية مع الفداء ؟ فأجاب : بأن الكشف شعار إحرامها ، ولا يجوز رفع حكم ثبت شرعاً لحوادث البدع .

وأما قول عائشة - رضى الله عنها - فإنها ردت الأمر إلى صاحبه فقالت : لو علم لمنع ، ولم تمنع هي .

وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح ، وأجاز للشهود النظر . فليس يبعد أن يأمرها بالكشف ، ويأمر الرجال بالفض ليعظم للابتلاء .

وإنما جاء النص بالنهي عن النقاب خاصة ، كما جاء النهي عن القفازين ، وعن لبس القميص والسرراويل . ومعلوم أن نهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة ، بل قد أجمع الناس على أن - المخرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها ، وأن الرجل يستر بدنه بالرداء وأسافلته بالإزار .

ومن قال : إن وجه المحرمة ك رأس المحرم ، فليس معه بذلك نص . وقول من قال من السلف : إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل ، بل يلزمها اجتناب النقاب ، فيكون وجهها كبदन الرجل .

وقد قالت عائشة - رضى الله عنها : كنا إذا مرر بنا الركببان سدكت إحدانا جلبابها على وجهها . ولم تكن إحداهن تتخذ عوداً تجمعله بين وجهها وبين الجلباب كما قال بعض الفقهاء ، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة ، ولا أمهات المؤمنين البتة ، لا عملاً ولا فتوى . ويستحيل أن يكون هذا من شعار الإحرام ، ولا يكون ظاهراً مشهوراً يعرفه الخاص والعام .

(١) في بدائع الفوائد.

ومن آثر الإنصافَ وسلكَ سَبِيلَ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ تَبَيَّنَ لَهُ رَاجِحُ الْمَذَاهِبِ مِنْ مَرْجُوحِهَا ،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها (١)

البيضة المكنونة (٢) بيضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصُّفْرَةُ التي تضرب فيها.
قال ذو الرِّمَّة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة ، والنعام تخفيها بريش ، ولا تُبديها للشمس والريح لئلا تتغير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّ هُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : المازحة ، والمنازلة - تقول : غالزني المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بيمينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صددت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستمالة . كالدمى والصور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتزوجت إ

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » أسما « أم عقبة » كانت عند ابن عمر لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذي تريدن بعدى والذي تضميرن يا أمَّ عُقْبَةَ
تحفظين من بعد موتي لما قد كان مني من حسن خلقي وصُحْبَةِ
أم تريدن ذا جلالٍ ومالٍ وأنا في التراب في سجن غُرْبَةِ

(١) في خزانة الأدب للبغدادى . (٢) تكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعام غالباً .

فقات له : والله لأجيبك بكذب ، ولأجعلنه آخر حظي منك . وأنشدته :

قد سمعت الذي تقول وما قد يا ابن عمي تخاف من أم عقيبته
سوف أبكيك ماحيت بنوح ومراثٍ أقولها أو بندبه
فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو شر فارعى حتى لحسن الوفاء
إنني قد رجوت أن تحفظي العم د فكوني إن مت عند الرجاء
ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات . فلم تمكث بعده قليلاً حتى خطبت من كل جانب ،
ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها ، فقالت بحيلة لهم :

سأحفظ غساناً على بُعد داره وزعاه حتى نلتقي يوم نخشع
وإني لني شغل عن الناس كلهم فكفوا فإ مثلي بمن مات يغدر
سأبكي عليه ماحيت بدمعة تجول على الخدين تهمني فهمر

فلما تطاولت الأيام تناست عهده وقالت : من مات فقد فات .

فأجابت بعض خطابها فمقد عليها . فلما كانت الليلة التي أراد الدخول بها أتاها آت
في منامها فقال :

عقدت ولم ترعى لبعلي حرمة ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي العهد
ولم تصبري حولا حفاظاً لصاحب حلفت له بقاً ولم تنجزى الوعد
غدرت به لما ثوى في ضريحه كذلك ينسى كل من سكن اللحد

فلما سمعت هذه الأبيات ، انتهت مرتاعة كأن غسان معها في جانب البيت ، وأنكر
ذلك من حضرها من نساءها ، فأنشدتهن الأبيات ، فأخذن معها في حديث لينسينها ما هي فيه ،
فتفلفت هن وأخذت مدية ، فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها . فقالت امرأة منهن :

لله درك ماذا لقيت من غسان
قتلت نفسك حزناً يا خيرة النسوان

ومن آثار الإنصاف وسلك سبيل العلم والعدل تبين له راجح المذهب من مرجوحها ،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها (١)

البيضة المكنونة^(٢) بيضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصفرة التي تضرب فيها.
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة ، والنعامة تخفيها بريش ، ولا تُبديها للشمس والرياح لئلا تتغير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّ هُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : المازحة ، والمغازلة - تقول : غالزنى المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بعينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صددت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستملحة . كالدمى والصّور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتزوّجت إ

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أم عقبة » كانت عند ابن عم لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذي تريدن بعدى والذي تضميرن يا أمَّ عُقْبَةَ
تحفظين من بعد موتى لما قد كان منى من حسن خلقي وصُحْبَةِ
أم تريدن ذا جمالٍ ومالٍ وأنا في التراب في سجن غُربَةٍ

(١) في خزانة الأدب للبغدادى . (٢) تكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعامة غالباً .

فَقَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أَجِيئُكَ بِكَذِبٍ ، وَلَأَجْعَلَنَّ آخِرَ حَظِّي مِنْكَ . وَأَنْشَدَتْهُ :

قَدْ سَمِعْتُ الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدْ يَا ابْنَ عَمِّي تَخَافُ مِنْ أُمِّ عَقْبَةَ
سَوْفَ أَبْكِيكَ مَا حَيَّتُ بَنُو حِ وَمَرَاثٍ أَقُولُهَا أَوْ يَنْدَبُهُ
فَلَمَّا سَمِعَهَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا وَاللَّهِ وَائِقٌ بِكَ لَكِنْ احْتِيَاظًا أَخَافُ غَدْرَ النِّسَاءِ
بَعْدَ مَوْتِ الْأَزْوَاجِ يَأْخِرُ مِنْ عَو مَرَّ فَارَعِي حَقِّي لِحَسَنِ الْوَفَاءِ
إِنِّي قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِي الْعَمَّ دَفْكَوْنِي إِنْ مَتَّ عِنْدَ الرِّجَاءِ
ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانَهُ فَلَمْ يَنْطِقْ حَتَّى مَاتَ . فَلَمْ تَمُتْ بَعْدَهُ قَلِيلًا حَتَّى خُطِبْتَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
وَرَغِبَ فِيهَا الْأَزْوَاجُ لِاجْتِمَاعِ الْخِصَالِ الْفَاضِلَةِ فِيهَا ، فَقَالَتْ بِحَبِيَّةٍ لَهُمْ :

سَأَحْفَظُ غَسَّانًا عَلَى بُعْدِ دَارِهِ وَزَعَاهُ حَتَّى نَلْتَقِيَ يَوْمَ نُحْشَرُ
وَإِنِّي لِنِي شَفْلُ عَنْ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَكُفُّوا فَمَا مِثْلِي بَعْدَ مَاتَ يَمْدُرُ
سَأَبْكِي عَلَيْهِ مَا حَيَّيْتُ بِدُمْعَةٍ تَجُولُ عَلَى الْخَلْدَيْنِ تَهْمِي فَتَهْمُرُ

فَلَمَّا تَطَاوَلَتْ الْأَيَّامُ تَنَاسَتْ عَهْدُهُ وَقَالَتْ : مِنْ مَاتَ فَقَدْ فَاتَ .

فَأُجَابَتْ بَعْضُ خُطَابِهَا بِمَقْعَدٍ عَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادَ الدَّخُولُ بِهَا أَتَاهَا آتٌ
فِي مَنَامِهَا فَقَالَ :

عَقَدْتُ وَلَمْ تَرَعِي لِبُعْلِكَ حَرَمَةً وَلَمْ تَعْرِفِي حَقًّا وَلَمْ تَحْفَظِي الْمَهْدَا
وَلَمْ تَصْبِرِي حَوْلًا حِفَاظًا لِمَصَاحِبِ حَلَفْتَ لَهُ بَقَاءً وَلَمْ تَنْجِزِي الْوَعْدَا
غَدَرْتُ بِهِ لَمَّا ثَوَى فِي ضَرْيَحِهِ كَذَلِكَ يُلْسِنِي كُلٌّ مِنْ سَكَنِ اللَّحْدَا

فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، انْتَبَهَتْ مَرْتَاعَةً كَأَنَّ غَسَّانَ مَعَهَا فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، وَأَنْكَرَ
ذَلِكَ مِنْ حَضَرِهَا مِنْ نِسَائِهَا ، فَأَنْشَدَتْهُنَّ الْأَبْيَاتَ ، فَأَخَذْنَ مَعَهَا فِي حَدِيثٍ لَيْسَ فِيهَا مَا هِيَ فِيهِ ،
فَتَنَفَّلَتْهُنَّ وَأَخَذَتْ مَدِيَّةً ، فَلَمْ يَدْرِكْنَهَا حَتَّى ذُبِحَتْ نَفْسُهَا . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ :

لِلَّهِ دُرُّكَ مَاذَا لَقِيتِ مِنْ غَسَّانٍ
قَتَلْتَ نَفْسَكَ حُرْنًا يَا خَيْرَةَ النَّسْوَانِ

وفيت من بعد ما قد همت بالمصيان
وذو المعالي غفوراً لسقطه الإنسان
إنّ الوفاء من الله لم يزل بمكان

وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى

قالت امرأة حاكية^(١) : كنت عند عائشة بنت طلحة يوماً ، فقيل لها : هذا الأمير قد جاء ، فتنجيت . ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج من عندها ، رأيته وكأنا أوتى ملك سليمان .

ويقال : إن رملة بنت عبد الله خربة عائشة هذه قالت لمولاة عائشة يوماً : أربى مولاتك مجردة وأنا أعطيك ألفي درهم . فذكرت الجارية ذلك لعائشة ، فقالت : أنا أتجرد لها ولا تعلمها أني عرفت . ثم قامت عائشة فتجردت كآنها تنفسل . وذهبت مولاتها إلى رملة خربت فأخبرتها ، فأشرفت عليها وتأملت ما مقبل ومدره ، وأعطت الجارية ألفي درهم وقالت : وددت لو أتي أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها ، وذلك لما راعها من حسن جسدها والبض ، وتناشق جمال أعضائه المثيرة الفاتنة .

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة ندبته قائمة ، دلالة على أنها لا تزوج بعده . روى الأصفهاني في كتابه « الأغاني » أن عائكة بنت يزيد بن معاوية ، استأذنت زوجها عبد الملك في الحج ، فأذن لها وقال : ارفعي إلى حوائجك كلها ، واستظفري فإن عائشة بنت طلحة تحج معك ، فاستظفرت بكل ما تقدر عليه ، وخرجت بهيئة حسنة فداجمت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذ ركب قد جاء فضنطها وفرق جماعتها ، وكان هو ركب عائشة بنت طلحة !

القبلة وإباحتها (١)

قالت طائفة من العلماء : القبلة مباحة لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه من التلف في الحين قالوا : لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك النفس ، والقبلة صغيرة ، وهلاك النفس كبيرة ، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى الأخطر ، ولا خطر أعظم من خطر النفس ، حتى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك . إذا علم أن ترك ذلك يؤدي إلى إهلاكه . واحتجوا بقول الله تعالى : « الذين يحبون كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ . . . » والحديث الذي يقول : يا رسول الله إنى لقيت امرأة أجنبية فأصبت منها كل شيء إلا النكاح ، قال : أصليت معنا ؟ قال : نعم . قال : إن الله قد غفر لك . فأنزل الله تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات » . رجع إلى المقاطيع :

قال أبو الفرج الجوزي :

يا مانع القبلة من خدِّه فتت قلبي فهو مفتوت
لا تحش أنفاسي ولا حرها فإني خدك يا قوت
ولأبي الفضل بن أبي الوفا :

سألتها رشف ريق مستعذب الطعم حلوى
قالت : فصفه ارتجلاً فقلت : بمد التروى
ولابن حجة :

وعاشق أزم معشوقه قبلة في فيه فيها شفاء
ولم يخف من جارحي لحظه خطفاً وقد باس ولم يخطفاه
ولابن العطار :

جمعت بالراح شملي فالله يجمع شملك
وكم يد لك عندي دعني أقبل رجلك

ولآخر :

رأيت في مجلسي مليحاً يشبه بدر الدجى وأحسن
سألته قبلةً بخديّ فجاد بالوصل لي وأحسن

وقال آخر :

سألته قبلةً الذّبيها فصدّ عني وقال سروالك
فقلت : لم سيّدي ؟ فجاوبني : عاقبة البوس حل سروالك

ولآخر في « مشروطٍ على الخلد » :

بروحى مشروط على الخلد أسمر وفادنا بعد التجنّب والسّخّط
فقال على اللّثم اشترطنا فلا تزد فقيلته ألفاً على ذلك الشرط

ولبعضهم رحمه الله :

قال الحبيب وقد رشفت رضابه في يوم من رمضان لما زارا
أفطرت ؟ قلت : نعم رأيْتُك طالماً وهلال وجهك يوجب الإفطارا

ولآخر عفا الله عنه :

قُبَّت مبسمه فقال تذللّا عند اللّقاء له ونَحْنُ صِيَامُ
أفطرت يا هذا ، فقلت له : ابتدا الصّوم مع رؤيا الهلال حَرَامُ

وقال آخر في الجناس :

إن كنت تألف بالحبيب وقربه فاصبر على جور الرّقيب وداره
إن الرّقيب إذا صبرت لحُكْمِهِ ثوّاك في مثوى الحبيب وداره

محاسنُ الخلق والخلق (١)

عن وهب بن منبه - أنه قال : قال موسى عليه السلام : أى رب أىّ عبادك أحبّ إليك ؟ . قال : من أذكر برؤيته . وقال وهب : قال داود : ياربّ أىّ عبادك أحبّ إليك؟ قال : مؤمن حسن الصورة . قال : أىّ عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر قبيح الصورة ...

وفي مسند الإمام أحمد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : إن الله يحبّ الجمال . رواه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدرى ، وعبد الله بن مسعود وجماعة .

وعن حديث ابن حديد عن أبي مليكة ، يرفعه : من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً وجمله في موضع غير شائنٍ له ، فهو من صفوة الله من خلقه .

وفي الصحيحين عن أبي بريدة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوّل زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحبّ أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم . وكان يقول : إذا أبردتم إلى بريداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم .

وفي مليح :

يا من له وجهٌ بدت أنواره كالشمس عند طلوعها بل أشرق
لولا هواك لما جفا جفنى الكرى ليلاً ، وبثّ بدمع عيني أشرق
وفي آخر :

شبهت بالبدر الحبيب فقال لى لاح به أثر الصبابة لا يح
لا وجهه للتشبيه ، قلت : أما ترى وجهه الحبيب ؟ فقال : وجهه واضح
وقال له :

وجهه يفوق الهلال حسناً ويُنجلُ البدر إن تجلّ
يقول في الحال من رآه أشهد أن لا مليح إلا

وقال آخر :

أُحِبُّ من المردان كلَّ مهفِفٍ
رَشِيقِ الثنى لم يسر في خدّه الشعْرُ
فأما إذا ما الشعْرُ في خدّه بدا
فلا خير في اللذات من دونها السّترُ

وقال آخر :

أظهروا وجهك المليح
ثمّ لاموا من افتتن
لو أرادوا جنايتي
حجبوا وجهك الحسن

وقال آخر وأجاد :

يا من وهبت له روحى فعذبها
ورمتُ تخليصها منه فلم أطق
أدرك بقيّة نفس فيك قد بلغت
قبل المات فهذا آخر الرّمق
ولا بن الخطيب في « الحسن » :

الذرُّ فوق جبينه يتوقّد
والماء في وجناته يتردّد
كتب الهوى بيد إليه يؤكّد
بالحسن فوق جبينه يا واحد
وله أيضاً :

جفون ممّذبي يملأنه
مئى وإن وداده تكليفُ
لكننى لم أنا عنه لأنه
خبرٌ رواه الجفن وهو ضعيفُ
ولشهاب الدين بن ناصر الدين :

بي سقام من جنون
قد جفوني لست أبرأ
وعيون فأتسكات
من سيوف الهند أبرأ

ولآخر :

كأنّ مقاتله صاد ، وحاجبه
نون وموضع تقبيلاته ميم
فصرت أعبد منه في الهوى صنماً
وعابد الصنم الإنسى مخدوم

ولآخر - في العيون :

يا من يشبه نرجساً بنواظر
دعج تدبه إنّ فهمك راقد
أين القياس لمن يصحّ قياسه
بين العيون وبينه ذا ساعد

وقال أيضاً في ذلك :

وظبي إذا عاتبت ناعس طرفه
ألا فاشهدوا قتلي بسيف جفونه
ولآخر - في العيون السود :

عيونك السود إن مدّت سوافها
وإن كان جبل الجفا سود معارفها
ولآخر - في ذلك :

كدت أشتهي ألف بحبي ألف ناقة سود
أزل إلى الحرب آخذ عود وأعطي عود
وفي من عينه زرقاء :

بمینه الزرقاء
واعجباً أحبه
في قلبي سهم مطلق
وهو العدو الأزرق

وفي أحول :

قالوا شنت بأحول فأجبتهم
لا تحسبوا حولانه . . لكنه
وفي من بعينه رمد :

جاء الحبيب وعيناه بها رمد
وقال أرجو علاجاً قلت واعجباً
وفي الوجنة الحمراء :

الطرف بمدك قد عادت مدامه
والقلب في الوجنة الحمراء يأسكني
وفي مبتسم الثغر :

جاء بصبح ثغره مبتسماً
قلت له : دمت لقلبي هكذا
فهل تأذن لطيف منك يطرقة
كما بد النار يهواها وتحرقه
يمشي بليل الشعر في دلال
ما دامت الأيام والليالي

وفي حبيب :

قال الحبيب يقول ثغرى إنّه
يازيد خذ منه الحديث فإنّه
ذو قرقف داء المحبة دافع
حسن رواه مالك عن نافع

وقال في أحور :

وأحور طرفي حابر في جماله
وعرينه أقي أمم وطرفه
وفي لجلجة كلام المحبوب :

عابوا التلجلج - في كلام معذب
إنّ الذي ينسى الكلام لسانه

وفي معاينة حسن الحبيب :

لو طابت عيناك حسن معذب
عين الرشا ، قدّ القفا ، ردف النقا

ولابن مبارك :

يا أيها العشاق قد جاءكم
أجيدٌ إتلافٌ روح امري
وقال آخر - في من بيده مديّة :

وشادنٌ في يده مديّة
ما كان محتاجاً إلى حملها

ولأبي نواس - في أحور ساحر العيّن :

وبلى على أحور ممكور
تختاره الحور علينا كما

وفي من يبكي ! :

يا قرّاً أبصرت في مآتم
لا تبك للميت ياسيدي

يندبُ شجواً بين أثواب
وابكٍ قتيلاً لك بالباب

وفي من ينظر في المرآة :

وإذا أراد بأن ينزّه طرفه أخذ المرآة بكفه فتفرّجاً
فكأنه وكأنها في كفه شمس الضحى قد قارنت بدر الدجى

وفي قواس :

قالت لقواس له طلعة
يا من له وجه كبدر الدجى
من رام عنها الصبر لم يقدر
بكم تبيع القوس للمشتري ؟

ولأزميرى في رام :

بأبي وأمي رامياً يسبي الحشا
لما أراد إطلاق سهم رامياً
بلواحظ تسطو على العشاق
زاد الورى عشقاً على الإطلاق

وفيه أيضاً :

رمى عن قوسه في الطير سهماً
وفوق نحو قلبي سهم طرف
على عجل ولم يعلم رويدا
فلم يخطئ بسهميه السويدا

وفي رمال :

وضارب بالرمل من حسنه
كأن من أبدع في خلقه
مستخرج في الرمل أشكاله
يزدحم الناس على رمليه
قد خلق العشاق من أجله
وما يريدون سوى شكله

ولابن الوردي في ذلك :

حكي القضيب والقنا
وقال وصلى غفلة
بالرمل والأنايل
إلا بفيض داخل

وقال في منجم :

ورب منجم قد صدّ عني
فقلت عساك ترجع عن قريب
ولى أبدأ بطلعته ولوع
فقال الشمس ليس لها رجوع

ولابن المزيّن في تاجر :

وتاجرٌ شاهدت عشاقه والحرب فيما بينهم تسائر
قال على ما اقتتلوا هكذا قلت على عينيك يا تاجر
ولأزميري - في تاجر أيضاً :

وتاجرٌ يمدح عشاقه مالا ووصلاً ليري ناديه
ما ردّ يوماً منها زائراً لأنه متّسع الدايه
وله في شاعر :

لا تمذلوني إذا عشقت شاعراً في فيه نظم الدرّ يا رفاقي
فهو البديع حسنه لكنّه يميل للتصريح في الطباقي
ولآخر في الخدّ :

بدّا في الخدّ عارضه فأضحى عليه مفيض بالوم يُنري
وحاول أن يرى متى سلّوا فقال : لقد تمذّر . قلت : صبري
ولآخر ... اقتباس - في من في خدّه عذار :

رأيتُ في خدّه عذاراً خلعت في حبّه عذارى
قد كتّبت الحسنُ فيه سطرّاً ويوجّ الليل في النهار
ولابن المعتز في ذمّه وهجره :

يارب إن لم يكن في وصله طمعٌ ولم يكن قدح من طول هجرته
فاشف السقام الذي في جفن مقلته واستر محاسن خديّه بلحيته
وله أيضاً - عفا الله عنه :

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفنٍ وقد تمّعت معاني وجهك الحسن
وكان يعرض عني حين أبصره فصرت أعرض عنه حين يبصرني
وقال آخر :

لما التحى وعما الإلهُ جماله وكساه ثوبَ مذلة ونفاق
كتب الزمان بخطه في خدّه هذا جزاء معذب المشاق

وقال آخر :

غداً أسوداً بالشعر أبيض وجهه
على وجهه أضحى بخطى عذاره
فأصبح من بعد التثنم في ضنك
تناديهما عيناه حزناً : قفانبك
ولآخر ... اقتباس :

قتل الناس باللواظ حتى
طلعت ذقنه وعيناه كَلَّتْ
أذهب الله حسنه والجالا
وكفى الله المؤمنين القتالا
وأخر .. مثله :

لما بدا في خدّه عارض
وقلت غدا عارض ممطر
بشرت قلبي بالسوء المقيم
فجاءني منه عذاب أليم
وقال آخر - أيضاً :

قلت لما تشركت عارضاه
إيش هذا فقال لي في جوابي
وأباد السواد ضوء نهاري
كل من مات سودوا باب داري
ولابن نباتة :

وأمره مقتته ربه
أرسله الله لنا آية
بدله بعض الضيا بالظلم
ليعلموا كيف زوال النعم
وله أيضاً - رحمه الله :

دارت عذار حبيبي
فياله حسن وجه
حتى غدا وهو حابر
دارت عليه الدوائر
وقال آخر :

وخلصني من يدى عشقه
كنست فؤادي من حسنه
ظلام على خده حسدسه
ولحيته كانت المكسسه
وقال آخر . والله درّ قائله :

ما فعل الله باليهودي
ولا بفرعون من عصاه
ولا بصاد ولا ثمود
ما فعل الشعر بالحدود

ما قيل في الأسماء (١)

في محمد بن عربي :

أحمد عساك تشهد لي أني قتيل عيونك الشجر
فقت الملاح فأنت خاتمة وكذا سميك خاتم الرُّسل
وفيه أيضاً :

قالوا تشفع بالجمال ولو تثبتت كان أجود
فأجبت إني مسلم أرجو الشفاعة من محمد
ولابن العفيف :

أيها المودع قلبي نار وجد تنوقد
كيف تستأهل ناراً مهجة تهوى محمد
وفي أحمد :

قد غدا أحمد لي ما أجود وكان بالوصل لنا ينجد
وإن يعد يرضى لمشاقه فالوصل يا أحمد لي أحمد
وفيه أيضاً :

مذ وفا أحمد وعدى ولهب الشوق أحمد
فأنا في كل حال أشكر الله وأحمد
آخر والله درقائله :

ولقد قنعت من الحبيب بنظرة أظني بها ناري التي لا تحمد
قالوا فمن شئت تحب؟ فأجبتهم غصن النقا بدر الدجى يا أحمد
وفي أبي بكر :

تعمقت ظلياً فاتن اللحظ فاتراً أبو بكر يدعى خليفة طامة البدر
فلا تنكروا وجدى فأني محمد وإني من أولى الوري بأبي بكر

وفيه أيضاً :

بروحى أبا بكر فديت ومهجتى
له طامة كالبدر والنصن قدّه
وللحجازى - فيه أيضاً :

بمدح أبى بكر سموتُ فيا له
ولا بدع إذ بالفت في مدحه إذا
ولشهاب الدين التليح ، وأنشده لنفسه :

من حبيبي ووفاء
ولا عجيبي من أبى
وعداً له وحققه
بكر الوفا ما أصدقه

وفى عمر :

ما عليهم فى الهوى إذ نظروا
أبدلوا قافك عيناً غلطاً
حين سموك وقالوا : عمر
أخطأوا ما أنت إلا قر

وفى عثمان :

وافى إلى بشمعتين ووجهه
ناديت ما الاسم ؟ يا كلّ المنى
بضياته يزهو على القمرين
فأجابنى عثمان ذو النورين

لنز فى عثمان :

يا أيها العارف فى فنّه
ما قولكم فى أحرف خمسة
ومدّعى الفهم وعلم البيان
إذا مضى حرف تبقى ثمان

وفى على :

قال المذول منذ رأى
بمن فتنت فى الورى ؟
قلبي به فى شغل
فقلت دعنى بعلى

وله عفا الله عنه :

بعلى قد همت ما بين الورى
وإذا ما غاب عنى شخصه
وبه قلبي المعنى قد بلى
صاح قلبي وحشة بالعل

ولابن حجير الحافظ رحمه الله :

قلت : هل لي من دوا قد غدا قلبي عليلاً
قالوا سلوى كل حبٍّ قلت إلا عن علي لا

وللحججزي في عبد العزيز :

إن عبد العزيز قد جاء نحوى شرح حالي أغني عن التميز
في هواه حقاً لقد طاب ذلي حيث أصبحت عبد عبد العزيز
وللا زهرى في عبد القادر :

حبّي عبد القادر الذي له بهجة حسن والورى عبيده
وكيف لا أريده بين الورى والله يدرى أننى أريده
لنر في عبد الله :

اسم من أهواه ياسيّدى فيه من المنبر حرفان
وأخو الورد تمام اسمه وواحد ليس له ثنان
وفي عبد القوى :

عبد القوى سباني بقده السمرى
وصرت عبداً ضعيفاً فى حبّ عبد القوى
وفي عبد اللطيف :

فتنت بعبد اللطيف الذى فطانتة أسكنته الفؤاد
ولا عجب إن بدا لطفه فعبد اللطيف لطيف العباد
وفي عبد الحفيظ :

عبد الحفيظ الندى قد أنجح الله قصده
لا تخشى من ضياع فالله يحفظ عبده
وفي محمود :

يقول لي منكر حالى به من لك في ذا الحى مقصود
فقلت لا تسل بحقّ الهوى عنه فقصدي فيه محمود

وفيه يهجو :

ما كنت أحسب أنى أجي إلى زمن
يسبنى فيه كلب وهو محمود
وفى إبراهيم :

عجبت لئلا قلبى كيف تبقى
حرارتها وحبك تحتويه
فيا نيرانه كوني سلاماً
وبرداً إن إبراهيم فيه
وفيه أيضاً :

لا زال بابك للسكرام كعبة
فترى بها للواردين رسوم
حتى يقول القاصدون بأمرهم
هذا المقام وأنت إبراهيم
ولابن نباتة فى خليل :

يفيب خليل الحسن عنى ليلة
فأسأم من ليل طويل أراقبه
وكيف يطيب العيش عندى والكرى
وليس إلى جنبى خليلاً ألاعبه
ولمزد الدين الموصلى :

قال حبى خليل غيّر ودّى
وتركت الفؤاد مئى عليلاً
بعد عشق الملاح صرت تقيّاً
ما تراعى من الأنام خليلاً
وقال فى يعقوب :

يعقوب إنى يوسف قد تركتنى
من الحزن يعقوباً وأصبحت يوسفأ
وأصبحتُ غُذولاً وقد كنت ناصراً
وكنت ملكاً صرت عبداً مكلفاً
ولابن الخياط - فيه أيضاً :

رأيت أنى فى الكرى لائماً
مبسمك الشافى آلامى
يوسف انبينا بتأويله
فقال هى أضعت أحلامى
لمز فيه . . وأجاد :

يا سائلى عن اسم من أحببته
إنى بمن أهواه غير مصرح
فإذا أردت بيانه فاعمد إلى
معكوس سابع كلمة فى « سبّح »

وفي موسى :

رأيت في حلق غزالا تحير في وصفه الميون
فقلت ما الاسم قال موسى فقلت هنا تخلق الذقون

وفي عيسى :

ناديت يا عيسى ترفق بامرئ أحشاؤه قد أحرقت نهاكا
عيسى بن مريم كان يحبي من يرى وتميت أنت الحيّ حين يراكا

في داود :

وثقت بأن قلبي من حديد وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب إذا داود لأنّ له الحديد

وفيه أيضا :

أمسى يقزّ بحسنه بدر الدجى وغدا يذوب بحسنه الجلود
فإذا بدا فكأّتما هو يوسف وإذا شدا فكأنه داود

في سليمان :

له وجنة تدمى من اللحظ رقة يكاد بها ماء الشبية ينهل
فهذا سليمان لركة خده إذا دبّ فيه النمل كلمه النمل

في خضر :

مهفّف طلمته ليس بها مناظره وقدّه غصن نضر
يجرى لنا ماء الحياة وثغره لا تمجّبوا ماء الحياة فهو خضر

في رجب :

دموعى ربيع والرقاد محرّم على جفن عيني مذ هجرت بلا سبب
وفي القلب من شعبان نيران نصفه فجدى بما أرجو من الوصل يارجب

في شعبان :

شعبان قد أمسى يهزّ معاطفاً أبدت حلاوة خصره مع ردفه
لا غرو إن لاحت عليه طلاوة شعبان كلّ حلاوة في نصفه

علي بن سودون - في بركات :

رشاً يصيد الأسد في اللغات
الوجه منه مبارك فإذا بدا
ابن القيصراني في منصور :

يا قمر الوصل في جنة
كم حاربتك الشمس في حسنها
النواجي في نجم :

قد كنت أحسب نجم الدين يمنحني
حتى رماني في نيران مهجته
وله في سعد :

أنا قد همت بسعد
فاطرح نصحي ودعني
وله في سعيد :

سموا مني مهجتي سعيداً
إذا اجتمعنا يقول صدرى
وله في قاسم :

شكوت له حالي وفرط صبايتي
وقال استعصر صبري وكن متأسياً
ابن المطار في يحيى :

تكابد في هواه عليه أشياء
ويرضى أن أموت بحب يحيى
وله في هاشم :

في هاشم قلبي بدا دايباً
وكسر قلبي صبح في عشقه
من لحظه الفاتك بالعالم
لقلة الإنصاف في هاشم

وله في عامر :

حببي يدعى في الأناضول بعامر
يهدد قلبي بالسدود وبالخفا

وله في فرج :

وليس لي مخلص أرجو النجاة به
لكن اضمن بيت القائل بن رجا

آخر :

يا لائمي في رشيقي القدر ممتد
أشكو الشدائد من وجد أكابده

للحجاج في أمير حاج :

منلت بزورة للعيد يوماً
وأما إن دعيت أمير حاج

ولابن نباتة في عماد :

قالوا المهاد مليح
بحسنه قلت قصدي

لعز الدين الموصل في جرادة :

لقبوه جرادة وهو ظبي
صدته فامتلا فؤادي شحماً

لابن نباتة في إلياس :

أفدى مليحاً في البرايا لم أزل
قالوا أنقطعه كبيراً قلت من

لنزي في إسماعيل :

اسم من قد هويت ست حروف
عيل صبري تمام اسم حبيبي

نصفها ما تبديت فاستفهموها
ما على الماين لو فهموها

لابن الصايغ، في حسن :

إن الجسود عندما عاين ذا الحسن افتتن
وقال لا بدع إذا أتى على الحسن
وفي حسين :

حسين سباني حسنه ولحاظه
رمانى بسهم اللحظ قلت له اتشد
وفي بدر :

سموه بدرآ وذاك لما
وأجمع الناس إذ راوه
وفي كمال الدين :

ديني تكمل مذ جُعِلتم قبلي
وغدوت أنشد في البرية كلها
وفي عز الدين :

مولاي عز الدين يامن غدا
بكم حقيقة حسنت حالتي
وفي تاج الدين :

ببابك تاج الدين قد جئت مهدياً
فزادت بهاء من عطائك سيدي
جواهر لفظ لم ينلني تاجر
وفي التاج أبهى ما يكون الجواهر

الشهاب الصائم، في محب الدين :

في ملاح لك شتى
كم ليالٍ مع غزال
ضعف القاب وشتا
يا محب الدين بتا

في شرف الدين ، يهجو ، وأجاد :

السيادة	يرجون	شرف الدين	لقبوه
وزيادة	وهو	خير	كيف يرجى منه

في زيتون يهجو فيه :

لو أنصفوا سموك	زعرورا	سموك زيتونا	ثما أنصفوا
وأنت لا زيت ولا نورا		للزيتون زيت	يضي

في بونس :

حكي البدر وجه اقلت بل هو أملس	وقالوا حبيب القلب بدره وقده.
ولو لم يكن بدرأ لما كان يونس	فلو لم يكن غصنا لما كان مائلا

آخر، وأجاد:

له مقلة سوداء والحدّ أطلس	شنت بفتان اللواظ أهيف
فيوحشني والحب في القلب يونس	فإن غاب عن عيني تصورت شخصه

في مقبل :

ما زال عنه كل يوم يسأل	يامن تحجب عن محب صادق
ويقال لي هذا حبيبك مقبل	من لي بيوم فيه يسمح باللقا

في شاهين :

خطف القلوب وبالألحاظ شاهينا	يامن تسمى بشاهين وسيمته
فهل ترى أنت يا شاهين شاهينا	قد اشتبهيناك بالشاهين لا نفسا

في عنبر :

وعرف رياه قد تمطر	مذ رأي عنبر حبيبي
وشاقي من شذاه عنبر	أرشفني من لاه خمرأ

في بشير :

وجا كبدر منير	مهمجتي سبا
ولاواصل وافي بشير	وقد جاد لي بالرضا

في سنبل :

يقولون لي إذ زار في الحب سنبل
وقد فاق ريتاً نشره كلّ مندل
أهدا شذا مسك تصوع نشره
فقلت له هذا شذا عرف سنبل

في كافور :

مذ زار كافورنا البديع سنا
ووجهه حفّ من سنا النور
شاهدت من خاله بوجنته
نقطة مسك تبدو بكافور

في مسرور :

يقولون لي مسرور وافاك زياراً
وقد بت بالصباة ماسوراً
فقات لهم قد زال همي بوصله
وقلبي به في الحب أصبح مسروراً
في ريحان، والله درّه :

فديت ريحان صبا بالجوی
وبعد قلبي شفه الأشجان
لما رنا بلحاظه من نرجس
وبدا بهارض خدّه ريحان

في صبيح، وأجاد :

أرى صبيح مهجتي قد سبي
وصير الدمع بخدّ يسبح
فكيف لي بالصبر عن حبه
وقد سبي قلبي بوجه صبيح

في مبارك :

مبارك يا عذولي
أطلت فيه مقالک
لو زارني كنت أحظى
منه بكعب مبارك

في فرج :

يا قلب صبراً إذ أتاني فرج
عساك بالوصل منه تبهج
وربما تبلغ المراد وكم
قد جاء عند الضيق الفرج

وما قيل في المهن والحرف

في إسكاف :

ربّ إسكاف مليح حسنه ذاب قلبي منه صدّاً وجفا
كلّما أشكو إليه سقمي قال ما عندي سوى هذا الشفا

في بخانق :

تسلطن في الملاح بخانق ولم يرض بيدر التّم نايب
وصفّ له من الأتراك جنداً وأصبح موكباً تحت العصايب

في حباك :

يا مليحاً مهذب مقلته صاد قلبي منه بالشرك
مذ رأيت الحبك صنمته قات هذا البدر في الحبك

عز الدين الموصلی، في حجام :

وحاجم في الكاس أجرى دماً من ساق ساقينا ياشفاق
لكنّه خالف في شرطه فحكم الكاس على الساق

في حریری :

حریری يبيع الحسن لكن شبهه الفصن والبدر النير
كسى جسمی السقام ولا عجيب لثوب السقم من هذا الحریری

وما أحسن من قال ما ينسج على تكّة .. وأجاد :

أنا قفل من حریری ... فوق خصر مستدير
أنا لا أفقح إلا ... عند أوقات السرور

وقال في حداد، وأجاد :

تعشّقت حداداً بديع ملاحه له طاعة في الحسن تعلو وتشمخ
إذا رمت بالتطريق وصلّاً بقربه أراه ستر الغيظ ثم ينفخ

في حلاوى :

ريق الحلاوى أحلى من حلاوته
والدمع سكب وأحشأنى تقوضه
لابن الوردى فيه أيضاً :

الحلاوى قال لى
سهم عيني مسبر
والصندى فيه أيضاً :

إن هذا الصبى الحلاوى أضجى
لا تمارضه فى هواه بشكوى
فى حوايجى :

حوايجى أتيت أسأله
فى عنق دمل به ورم
لابن الوردى، فى خياط :

لما أتى والمتص فى يده . . .
فقال وصلاً يعوز قلت له
وأيضاً فيه :

مررت بخياط حكي البدر طلمة
بقدّ ويفرى الثوب ثم يخيطه
وللازميرى فيه أيضاً :

لله خياط إذا سألته
وإن شكوت غمّتى ردّفه
فى ذهبي :

عشقته ذهبيّ اللون طلّمته
إن مات طمباً إليه ليس ذا عجب
أبهى من البدر بل أبهى من الشهب
فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

وفيه أيضاً :

إلى الذهبي صبا قلبي وكم يدعو للعطاب
ألم ترني على شفق أحب الرضع في الذهب

وفي راشد :

أقول لراشدي لما تبدى عساه يكون لي بالوصل ناجد
بحسن جمالك الحسن الفدى إلى العشاق قد وافاك راشد

وفي رسام :

هويت رساماً كبد الدجى وثغره كالدر إذا تبسم
قلت له سلني ولو ساعة قال بكم ؟ قلت : بما ترسم

وفي رفا :

يا رافيا قطع كل ثوب يا بنية النفس يا مرادى
عسى بخيط الوصال ترفى ما فرق الهجر من فؤادى
وللصفدي فيه أيضاً :

ورقاء له وجه مليح محاسنه البديعة ليس تحفى
شملت به الفؤاد ولا زمانا أرى ثوب الفؤاد يعد زرفاً

في بيع ريحان :

يا صاح ريحاننا قد زارنى وبكاس فيه لما سقانى
لما نظرت إلى شقائق خده سبب الفؤاد عذاره الريحان

وللصفدي في سكرى :

سبتني صفات السكرى الذى له بضاعته حتى عدت قرارى
مكرر لفظ في سديت مبسم وأحمر خد في نبات عذارى
ولابن العربي . . في مليح يسبي الفؤاد :

وظبي يطرق بمرآته فيسبي فؤادى من لطفه
وهيهات أن أرتجى من هواه خلاصاً ودفنى في كفه

ولبدر الدماميني، في سبائك :

سبائك تبر وفضة صنعته
قلت له سبني أنا وأخي
وقال آخر، وأجاد، في سروجي :
فنتت به سروجياً بديعاً
إذا جذب الغرام له عناني
في سقا :

لله سقا له طلعة
أروم أن يسكب لي قربة
وللأزميري فيه أيضاً :

عشقت سقا كالزالل رضا به
يروى المبرد عن لاه كاملاً
ولشيخ الشيوخ بحماة، في سراي :
سألته من ريقه شربة
فقال أخشى يا شديد الظما

ولابن الصايغ، في شماع :

نظرت إليه شماعاً مليحاً
له خدّ جر لا لهيب
مواليا في صابوني :

حبّيت أهيف رقيق الخصر صابوني
والله لو فتشوا قلبي لصابوني
ولبدر الدين الدماميني، في صايغ :

وصايغ شادن هام الفؤاد به
يا ليتني كنت منفاخاً على فمه
وحبه في صميم القلب قد رسخا
حتّى أقبل فاه كلما نفخا

وله أيضاً في طيب :

طبيب يحاكي الغصن في حركاته
أصير روحى في هواه سبيلاً
عجباً له يبرى السقام بلطفه
وبطرفه يدعى السقام عليلاً

وله في طحان :

لله طحان تبدى وجهه
قرأ له قر السماء رقيق
وجناته ماء ولكن قلبه
حجر وأما خصره فدقيق

وله أيضاً في عطار :

قلت لعطار به صبوتى
محمودة والصبر لا يستطاب
أسقيتنى كأس غرامى به
ذبت ومن فيك برانى الشراب

وفي مديح جالس عند عطار :

وعطار مررت عليه يوماً
وجدت بجنبه ظبياً رمانى
فقلت له أعندك ماء ورد ؟
فقال : نعم ، وعندى ما لسانى

ولابن الفرس، وأجاد، في عوام :

يا حسن عوام كنصن النقا
يىخل بالوصل لمن هاما
ويقتع العشاق منه بأن
يريهم الأرداف إن هاما

وقال آخر، وأجاد، في فاخران :

سباني فاخران بديع حسن
رمى في القلب بالبحران جره
فهمت من النرام له بحب
وقصدى منه أن أحظى بجره

وفي قباني :

أشرت إلى الحبيب وقد تبدى
بقبانٍ ودمع العين سايلى
فدلّ بحسده تيهاً ونادى
إشارات الحب لها دلايلى

وللسيد محمد رضوان الرعاد - في قصاص :

أشكو إلى الله قصاصاً يجزئنى
بالصد والهجر أنواعاً من القصص
إن تحسن القص يمناه فقلتُهُ
أيضاً نقص علينا أحسن القصص

في بايع الكتان :

من بايع الكتان من ربط
سرحه لكن على المشط
ولا بن الوردى - في كفتى :

لا أرى من محبة لي مخرجاً
قرأ طرز بالبدر الدجى
لي كفتى سباني حسنه
مذ تبدى في حديد فحكي
ولا بن العفيف - في كوانى :

قد أظهرا . لوعتى ولى
قالوا كوانى فقلت قلبى
اسم حبلى وما يعانى
قالوا على فقلت قدرد
وقال آخر ، في ملىح مكحول :

يا أيها الرشأ المكحول ناظره
إن انماسك في التيار حقق أن
بالسحر حسبك قد أحرقت أحشائى
الشمس تغرب في عين من الماء
ولا بن الوردى ، في مزين :

بأبى شادى تملك روحى
مسك الكلبتين قلت عجيب
بجبن وتحمه مقلتان
من غزال بكفه كلبتان
ولأبى الفضل بن أبى الوفا ، في مجبر :

أحبت من بين الأنام مجبراً
ناديته قلبى كسير بالجوى
حسن الثمائل شبه ظلى أهورى
فاسمح وكن بالوصل مفك مجبرى
ولا بن الوردى ، في مهميزى :

صاح هذا المهميزى عارضه
وجد بالوصل لي يوماً رفسى على
بالحسن أصبح أرقم وتطريزى
أكباد من لام فيه بالمهميزى
ولآخر - لبائع الفخار :

بائع الفخار بدر
ما الذى تبغيه منى
قال للعاشق جهره
قال قصدى ألف جره

وفي ملالي :

ملالي المراق نوى حجازا به المشاق وجداً قد أمالا
إذا سألوا وداعاً لم يجبههم بلا إيه ولا نعم ولا لا
وقال ابن عربي ، في ناتف :

وقالوا دع المحبوب وأهجره دائماً أَلَمْ تره بعد الملاحه ينتف
أينتف من أجلى ويتعب نفسه وأهجره تالله ما أنت منصف
ولابن الوردي ، في نطاق :

هويت نطاقاً إذا جيتته بادرني باللحظ والصنع
أروم أن أحظى بوصله وقد قابلي بالسيف والنطع
وللسراج الوراق ، في ورقاق :

يا حسن ورق أرى خدّه قد راق في التقييل عندي ورق
تميس في الدكان أعطافه ما أحسن الأغصان بين الورق
وقال ابن حبيب فيه أيضاً :

فكنت بحسن ورق نقور بقاب الصبّ نار البحر أصلاً
صقيل الوجه كم ذرح لديه وبنضب إن طلبنا منه وصلاً
وللسيد محمد رضوان الرعاد ، في وقاد :

أحببت وقاداً كبدر طالع أنزلته برضى النرام فؤادى
وأنا الشهاب فلا تعاند عاذل إن ملت نحو الكوكب الوقاد
وللصنّدى ، في قطان :

قطاننا	مهف	تعتله	أردافه
ناديت من وجدى به	يالييتى	ندافه	

وله في بيع مرسين :

يا صاح مرسيننا لو زارنى يوماً لكان بوصله يشفيني
لما نظرت إلى رياض خدوده سلب الفؤاد عذاره المرسيني

وله ، في بيع نرجس :

بالروح أفدى فوجيا خدّه
لما دنا ونظرت روض جماله
ورد وآس عذاره كالسندس
نزهت طرفي في عيون النرجس

وله ، في بيع بنفسج :

سما بنفسجنا
لما بدا في خدّه
بحسبه قلبي الشجي
عذاره البنفسجي

وله ، في بيع تفاح :

لله من بيع تفاح إذا
لما نظرت لحسن نرجس كفه
غلبني بحسن جبينه الوضاح
هام الفؤاد بخدّه التفاح

وله ، في بيع سفرجل :

لله من سفرجلي شاقني
حيّا بكاس الراس مع القرنفل
بفنج طرف بابل أكل
ما أحسن الراح مع السفرجل

وله ، في بيع الورد :

لله ورد نبا البديع سنا
لما تأملت روض وجنته
وما جرى في الثغر من شهيد
تيم قلبي بخدّه الورد

عداوة النساء

طاعتهن تردى العقلاء وتذل الأعزاء

ذمّ بعض الحكماء من القدماء - جماعة النساء ، فقال :

هنّ نار توهج ، وسلّم إلى كلّ بلاء ، وهنّ مثل شجرة الدفلى ، لها رونقٌ وبها ثمر
إذا أكله البعير آذاه وقد يودى به .

ومن أمثالهم : طاعة النساء تردى العقلاء ، وتذلّ الأعزاء

ونظر بعض الصالحين إلى امرأة تزين وتتمطرّ ، فلما فرغت من زيلتها ظهرت محاسنها
وزاد جمالها ، فقال لمن حوله : إنّما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت واشتدّ حرّها ،
وضاءت للناس ، فهي حسنة المنظر ، تحرق من دنا منها .

وقال بعض الحكماء : الكيس من لم تضطره النساء . وقال أيضاً : من كانت لذّته في النساء ،
وقع في أعظم البلاء . .

وقال : من أراد أن يعيش عيشة رغد ، ويحيا حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة
النساء ، ولا يوى إليهن بطرفه ولا ييده .

وقال حكيم : كلّ أسير يفتكّ إلّا أسير النساء فإنه غير مفكوك ، وكلّ مالك يملك
إلّا مالك النساء فإنه مملوك ، وما استرعين شيئاً قط إلّا وضاع ، ولا استؤمننّ على سرّ إلّا
ذاع ، ولا أطلقن سرّاً فقصرن عنه ، ولا حوين خيراً فأبقين منه ، فقليل له :

كيف تذهبنّ ، ولولا هنّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء ؟ !

فقال : مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء ، لا يلامسها جسدٌ إلّا اشتكى ، وحملها
مع ذلك الرطب الطيب الجنى . والسلاء : جمع سلاة وهي شوك النخل . .

وروى فيهن : أنهن محملات الآصار، ومكلفات الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار ، وأنهن يسرعن اللعن ، ويكثرن الطعن . وفي الحديث : أنهن يكفرون العشير ، وينكرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط !

وقال لقمان : استعذ بالله من شرار النساء ، وكن من خيارهن على حذر .

وقيل لبقرط : أى السباع أحسن صورة ؟ فقال : النساء .

ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها ، فقال : قد ذهب نصف الشر .

ورأى البحر قد حمل امرأة - فقال : شرٌّ يجنى شرًّا . . ورأى رأس امرأة على شجرة فقال : ليت كل الشجر يشمر مثل هذا الثمر .

ونظرت مجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يمرض ، وقد زين داره وزوقها وكتب على الباب : « لا يدخل على من هذا الباب شيء من الشر » . فقالت له : « فامراتك من أين تدخل ؟ » .

وتكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال لهن : اسكنن ، فإنما أنتن لعب ، إذا فرغ لكنن ، لعب بكن .

وقيل إن الإسكندر خرج إليه في بعض حروبه نساء يحاربنه ، فقال لأصحابه : كففوا عنهن ، فإن ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا فخر ، وإن غلبنا فهي الفضيحة الباقية مع الدهر .

ورأيت في بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال ، وأن أزواجهن يسكنن ناحية منهن ، فتى احتاج الرجل إلى امرأته أتاها فقضى مدة عندها وانصرف فإذا ولدت ولداً ربته حتى يكبر وأرسلته إلى أبيه . وإن كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى ويبس لثلاً يمنعها الطمن بالرمح ، وتركت الآخر الأيسر - لترضع به ولدها ، ومع هذا فلا تؤمن صحتها ، ولكن لا بد من الأدب في ذلك .

قال عمر رضي الله عنه : عودوا نساءكم - لا ، فإن - نعم - تجزيهن على الألسنة .
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شاوروهن وخالفوهن »
وقال علي - رضي الله عنه - لابنه محمد بن الحنفية : إياك يابني ومشاورة النساء ، فإن
رأيهن إلى الأفن ، وعزمهن إلى الوهن . واكفف عليهن من أنصارهن بحجبتك إياهن ،
وإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تطل الجاوس معهن فيهلككنك وتملأن ، واستبق
من نفسك بقية .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « كمل من الرجال كثير ، ولم تكل من النساء
إلا امرأتان : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران .
وخطب النبي عليه صلوات الله وسلامه - نسوة فقال لهن : « إن كنن إذا جعتن دقعتن ،
وإذا شبعتن أثيرتن » . وفي بعض الروايات ورد - بدلاً من لفظ (أثيرتن : حجلتن) .
ومعنى (دقعتن : خضعتن ولصقتن بالدقما ، وهي غبرة التراب ، ويقال - فقره مدقع ،
أي ملصق بالدقما . وقالوا : رماه الله بالدقمة ، وهي الفقر والذل ، وجوع ديقوع - أي :
شديد .

وقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام - في النساء : « ما تركت بمدي فتنه أضرت على
الرجال من النساء » . وفي الشهاب : النساء حبايل الشيطان . وقال سعيد بن المسيب رحمه الله :
ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء . وقال وهو ابن أربع وعشرين سنة ،
وقد ذهب بصره : ما شيء أخوف عندي من النساء . وقال بعضهم في هذا المعنى :

أضرت شيء على الإنسان شهوته	تلك التي أوردته لجة النكد
إن الفضول لعمرو الله أدخله	في أن يكابد هم الأهل والولد
يحتاج داراً وأهل الدار يطلبه	كل بشهوته ، فاعط ، أو .. يعيد
فاضطره الحال أن يسمى ليرضيه	فظل من بلد يسرى إلى بلد
كانه حَجَرٌ يرمى به نزق	من هاهنا لهنا ، أو من يد ليد
ما هم الدهر إلا ما يؤلفه	وما يجمعه من جيد وردي

وما يبالي حراماً منه ذاك أتى
حتى إذا اجتمعت تلك المكاسب من
أَمْسى يُفَرِّقُهَا فِيهِمْ وَرَيْتُهُ
وَرُبَّمَا أَسْخَطَ الْمَسْكِينُ خَالِفُهُ
الْفَرَضُ ضَمِيمُهُ ، وَالذِّينُ أَتْلَفُهُ
وَكُلَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْغَسَاءِ ، فَلَا
يَسْلُبُنَّ لُبَّ ذَوِي الْعَقْلِ الرِّصِينَ ، كَمَا
يَارُبُّ شَهْوَةً وَقَدْ أَوْرَثَتْ غُصَصًا
قَدْ كَانَ فِي شُغْلٍ عَنْهُمْ قَاطِبَةٌ
لَكِنَّهُ عَمِيَتْ عَنْ ذَلِكَ مُقْلَتُهُ

ومن شعر أبي العمران الميرتلي رحمه الله :

وَقَالُوا : تَزَوَّجْ فَنَعْمَ الْفَتَاةُ
وَلَوْ أَسْتَطِيعُ لَطَلَّقْتُ نَفْسِي
أَشْقَى بِهَا دُونَ مَا ضَرَّةٍ
وَمَا تَقْنَعُ الْعَرْسُ سِوَى بَشْيءٍ
فَنَفْسِي أَوْلَى بِنَفْسِي ، وَدَعَّ

عَرَضْنَا عَلَيْكَ تَنْلُ خَيْرَهَا
فَكَيْفَ أَضِيفُ لَهَا غَيْرَهَا
وَأَمْنٌ مِنْ ضَرَّةٍ ضَرَّهَا
سِوَى أَنْ تَصِيرَنِي غَيْرَهَا
سِوَاهَا تَسِرُ وَتَصِلُ سَيْرَهَا

بنات الأربعين من الرزايا

أُشْدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْيَزِيدِيُّ ، قَالَ : أُنْشَدَنِي عَمِّي لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

مَطَيَّاتُ السَّرُورِ بَنَاتُ عَشْرِ
إِلَى عَشْرِينَ ، ثُمَّ قِفِ الْمَطَايَا
فَإِنَّ جَاوِزَتِهِنَّ فَسَّرَ قَلِيلًا
بَنَاتُ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الرِّزَايَا
مُقَاسَاةُ النِّسَاءِ مَعَ اللَّيَالِ
إِذَا أُولَدَتْهُنَّ مِنَ الْبَلَايَا

طرائف عن الحب

حيلة عاشق

كان لأبي العتاهية الشاعر العباسي نوادر لطيفة مع «عُتْبَة» جارية المهدي، تدُلُّ على كمالِ ظرفه؛ ومن ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد قال:

إنَّ أبا العتاهية لما ألحَّ في أمر «عتبة» - لأول دخوله بغداد، ولم ينل منها شيئاً، وجدها يوماً قد جلست في أصحاب الجوهر، ففضى فلبس ثياب راهب، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه، وسأل عن رجل كبير في السوق، فدُلَّ على شيخ صائغ، فجاء إليه فقال: إنِّي قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة... يعني «عُتْبَة».

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق، وجاء إلى «عتبة» فقال لها: إنَّ الله قد ساق إليك أجراً، هذا هو راهب قد رغبت في الإسلام على يدك. فقالت: هاتوه. فدنا أبو العتاهية منها - وهو في زي الراهب - فقال: أُمهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. ثم قطع الزنار، ومال على يديها فقبَّلها.

فلما فعل ذلك، رفعت البرُّس عن وجهه، فمرَّتْهُ وقالت: نَحْوَهُ، لعنه الله! فقالوا لها: لا تلغنيه فقد أسلم. فقالت: إنما فعلت ذلك لِقَدَرِهِ. فعرضوا عليه كسوة، فقال: ليس لي حاجة إلى هذه، وإنما أردتُ أن أُمَرِّفَ بولائها، فالحمد لله الذي منَّ عليَّ بحضوركم.

وجلس أبو العتاهية، فحملوا يعلونه (الحمد) وصلى معهم العصر، وهو في ذاك ينظر إليها، لا تقدر له على حيلة!

وحدث المبرِّدُ: أن «رَبِطَةَ» بنت أبي العباس السفّاح، وجمَّعت إلى عبد الله بن مالك الخزازي في شراء رقيق للعتق، وأمرت جاريَّتها (عُتْبَةَ) - وكانت لها ثم صحبت «الخيزران» بمدها - أن تحضر ذلك. فأتتها لجالسة إذ جاء «أبو العتاهية» في زي متنسك فقال لها:

جعلني الله فداك ، شيخ ضعيف لا يقوى على الخدمة . فإن رأيت - أعزك الله - شراً
وعتق ، فعلت مأجورة . فأقبلت على عبد الله فقالت : إني لأرى هيئة جميلة ، وضعفاً ظاهراً ،
ولساناً فصيحاً ، ورجلاً بليناً ، فاشتره وأعتقه . فقال : نعم أفعل . ثم قال لها أبو العتاهية :
أتأذنين لي - أصلحك الله - في تقبيل يدك ؟ فأذنت له ، فقبل يدها وانصرف .
فضحك عبد الله بن مالك وقال لها : أتدريين من هذا ؟ فقالت : لا . قال : هذا أبو العتاهية ،
وإنما احتال عليك حتى قبل يدك !

بين الحب والمال

وكان أبو العتاهية قد قصد بنداد من الكوفة ، مع زميلين له ، ليستفيد بشعره عند أمرائها ،
ولم يكن لهم في بنداد من يقصدونه ، فنزلوا غرفةً بالقرب من الجسر ، وكانوا يبكرون فيجلسون
بالمسجد الذي بباب الجسر ، في كل غداة . فرّت بهم يوماً امرأة راكبة ، معها خدم سودان .
فقالوا : من هذه ؟ قالوا : خالصة . فقال أحدهم : قد عشقت خالصة . وعمل فيها شعراً أعانوه عليه .
ثم مرّت بهم أخرى ، راكبة أيضاً ، ومعهما خدم بيضان . فقالوا من هذه ؟ قالوا : هذه
(عتبة) فقال أبو العتاهية : قد عشقت عتبة . وعمل فيها شعراً .

ولم يزالوا كذلك ، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين ، وتحدث الناس بعشق
أبي العتاهية وزميله لها . فقال صاحبا الجاريتين : نمتحن العاشقين بمال على أن يدعنا التعرض
للجاريتين . فإن قبلا المال كانا مستأكلين ، وإن لم يقبلناه كانا عاشقين .

فلما كان الغد ، مرّت (عتبة) فمرض لها صاحبها ، فقال له الخدم : اتبعنا ، فتبهمهم ،
فمضت به إلى منزل خليط لها يزار . فلما جلست دعت به فقالت له : يا هذا ، إنك شاب ،
وأرى لك أدباً ، وأنا حرمة خليفة . وقد تأتيتك ، فإن أنت كفت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير
المؤمنين ، ثم لم آمن عليك .

فقال لها أبو المتاهية : فافعل ، بأبي أنت وأمي ، فإنك إن سفكتِ دمي أرحمتي . فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لي فيك نصيب . !
فقالت له : أبقى على نفسك ، وخذ هذه الخمسمائة دينار ، واخرج عن هذا البلد . فلما سمع ذكر المال ولَّى هارباً ، فقالت : رُدَّوه ، وألحَّت عليه فيها . فقال لها : جُعِلْتُ فداك ، ما أصنع بعرض زائلٍ من الدنيا وأنا لا أراك ؟ . . . والله إنك لتبطلين يوماً واحداً عن الركوب ، فتضيق على الدنيا بما رَحَّبْتَ . فزادت له في الدنانير ، وما زالت تالح عليه فلا يزداد إلا رفضاً .

قليل منك يكفيني

ومن العطف ما قاله أبو المتاهية في (عتبة) قوله :

بالله يا خُلوةَ العيينِ زوريني	قبلَ الماتِ ، وإلا . . فاستزيريني !
هذان أمران ، فاخترى أحبهما	إليك ، أو . . لا . فداعى الموتِ يدعوني
إن شئتِ موتاً ، فأنْتِ الدهرَ مالكةٌ	روحي ، وإن شئتِ أن أحيَا ، فأخييني
يا (عُتْبَ) ما أنتِ إلا بدعةٌ خُلِقْتَ	من غير طين ، وخلقُ الناسِ من طينٍ
إني لأعجبُ من حبِّ يقرَّبني	مما يباعدني عنه ، ويقصِّيني
لو كانَ يُنصِفني مما كِلَفْتُ بهِ	إذن . . رضيتُ ، وكانَ النصفُ يرَضيني
يا أهلَ ودِّي . . إني قد لَطَفْتُ بكم	في الحبِّ - جَهْدِي - ولكن . . لا تبالوني
الحمد لله ، قد كُنَّا نظنُّكمو	من أرحم الناسِ - طرأ - بالمساكين
أما الكثير ، فلا أرجوه منك ، ولو	أطمعتني في قليلٍ كان يكفيني

وله فيها قصائد كثيرة أخرى ، يقول في إحداها :

ألا يا (عُتْبَ) يا قرَّ الرِّصافةِ	ويا ذات الملاحاة والنظافةِ
رزقت مودتي ، ورزقت عطفِي	ولم أرزق - فديتك - منك رافةِ
وصرتُ من الهوى ذيفاً سقيماً	صريعاً كالصريرِ من السَّلافةِ
أظُلُّ إذا رأيتك مُستَكيناً	كأنك قد بُعِثتِ على آفةِ

ومن قوله فيها أيضاً :

قال لي أحمدٌ ، ولم يدِرْ ما بي
فتنفّستُ ، ثم قلتُ : نعم ، حبّاً
لوّ تجسّينَ يا (عُتْبَةَ) قلبي
قدّ لعمري ملّ الطيّبُ وملّ الـ
كيتّني متّ فاسترختُ ، فإني
أُحبُّ الغداةَ (عُتْبَةَ) حقّاً ؟
جرّى في العروق ، عرقاً فعرقاً
لَوَجَدتِ الفؤادَ قرحاً . . تفقّأ
أهلُ مَنّى ، ممّا أفايسى وألقى
أبدأ - ما حبيت - منه ملقى

وفيه يقول :

(عُتْبَ) ما لِلْخَيَالِ خبريني . ومالي ؟
لا أراه . . . أتاني زائراً . . . مُدّ لَيَالٍ
لوّ . . . رأني صديقي رَقّ لي ، أو رثني لي
أوّ . . . يراني عدوّي لان من سوء حالي

من الحب إلى الزهد

وحدث أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب ، قال :

كان أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عُتْبَةَ) - فوعده بتزويجها ، وأنه سيسألها
في ذلك فإن أجابت جهّزها له وأعطاه مالاً عظيماً . ثم إن الرشيد سنج له شغل استمرّ به ،
فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه . فدفع إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح ، فدخل بها
على الرشيد وهو يتبسّم ، وكانت مجتمعة ، فقرأ على واحدة منها مكتوباً :

ولقد تنسّمتُ الرّياحَ الحاجتي فإذا لها من راحتيك شيمُ
فقال الرشيد : أحسن الحديث . إذن . . . على الثانية . وكان مكتوباً عليها :
أعلقتُ نفسي من رجائك ماله عنقٌ يحثُّ إليك بي ، ورسمُ
فقال الرشيد : على الثالثة ، وكان مكتوباً عليها :

ولرّبما استيأستُ ، ثم أقول : لا إن الذي ضمن النجاح كريم

فقال الرشيد : قاتله الله ، ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال له : قد ضمنت لك يا أبا العتاهية ، وفي غدٍ تقضى حاجتك إن شاء الله ، وبعث إلى (عُتْبَةَ) وقال لها : إن لي إليك حاجة ، فانتظري لي الليلة في منزلك .

فأكبرت (عتبة) ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستعفيه ، خلف ألا يذكر لها حاجته إلا في منزلها .

فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتي أو تضمين قضاءها ؟ قالت : أنا أمتك ، وأمرك نافذٌ فيّ .. فيها خلا أمر أبي العتاهية ، فإني حلفت لأبيك رضى الله عنه - بكل يمين يحلف بها برٌّ وفاجر . وبالمشي إلى بيت الله الحرام حافية ، كلما اقتضت عني حجةٌ وجبت على أخرى ، لا أقصر على الكفارة ، وكلما أفدت شيئاً تصدقت به ، إلا ما أصلى فيه .

وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها .

وغدا عليه أبو العتاهية ، فقال له الرشيد : والله ما قصرت في أمرك ، ومسروور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الخبر .

قال أبو العتاهية : فلما أخبرني الرشيد بذلك ، مكثت ملياً لا أدري أين أنا قائم أو قاعد ؟ قلت : الآن يئست منها إذ ردّتك ، وعلمت أنها لا تجيب أحداً بعدك .

ثم لبس أبو العتاهية الصوف ، وتزهد ، وقال في ذلك شعراً كثيراً ، منه قوله :

قطعت منك حبايل الآمال وحططت عن ظهر المطى رحالي
ووجدت برد اليأس بين جوانحي فننيت عن حلّ وعن ترّحّالٍ

وروى أبو سلمة الغنوي أنه قال لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول النزال

إلى قول الزهد ؟ فقال أبو العتاهية : إذن والله أخبرك ، إني لما قلت :

الله بيني وبين مولاتي أبدت لي الصدّ واللّالات
منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها .. مكافاتي
هيمنني حبها ، وصيرني ألدوثة في جميع جاراتي

رأيت في المنام تلك الليلة ، كأنَّ آتياً أتاني فقال : ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عُتْبَةٍ ، يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى ؟! .. فانتبھت مذعوراً ، وتبت إلى الله تعالى من ساعتى من قول النزل .

مَعِيَ بَيْنَ أَضْلَعِي

المحبة هي بذلك المجهود فيما يرضى الحبيب ^(١) . وقيل : هي سكون بلا اضطراب ، واضطراب بلا سكون . يضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه . ولا يزال يضطرب شوقاً إليه حتى يسكن عنده . وهذا معنى قولهم : هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب ، وسكونه عنده . وقيل : هي مصاحبة المحبوب على الدوام . كما قيل :

ومن عجبٍ أتى أحنُّ إليهمُ وأسألُ عنهمُ مَنْ لقيتُ وهمُ معي
وتطلبهم عيني وهمُ في سوادِها ويشتاقهم قلبي وهمُ بين أضلعي

يرى الفؤاد الروحين يمتزجان

وقال ابن الرومي :

أعانقُها والنفسُ بعدُ مشوقةٌ إليها . وهل بعد العناق تدانٍ ؟
والأشيمُ فإها كي تزولَ صباقتي فيشتدُّ ما عندى من الخفقانِ
ولم يكُ مقدارُ الذى بي من الجوى ليشفيهُ ما ترشف الشفتانِ
كأنَّ فؤادى ليس يشقى غليلهُ سوى أن يرى الروحين يمتزجانِ

(١) في روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٩ .

لئن ساءني لقد سرني

وقال عبد الله بن الدمينه :

ولو قلت : طأ في النار، أعلم أنه
لقد متُ رجلى نحوها ... فوطئتهما
لئن ساءني أن نلتني بمساءة
لقد سرني أني خطرتُ ببالكِ
رضاً لكِ أو مُدنٍ لنا من وصالكِ
هُدى منك لي، أو.. ضلالة من ضلالكِ

العشق عفة ونزاهة

قال الشاعر :

إذا كان حظُّ المرءِ ممن يحبُّه
حديثٌ كماءِ المزنِ بين فصوله
ولمُ فم عذب اللثاتِ، كأنما
وما العشقُ إلا عفةٌ ونزاهةٌ
وإني لأستحي الحبيبَ من التي
حراماً، فخطي ما يجلُّ ويَجْمَلُ
عتابُ به حُسنُ الحديثِ يُفصلُ
جناهن شهدَتْ فيهِ القَرَئِلُ
وأنسُ قلوبِ أنسهنَّ التَّغَزُّلُ
تُربُّ، وأدعى للجميل فأجلُّ

الطَّرَفَ رَسُولُ رَائِدُ لِلْقَلْبِ

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطَّوَّافِ كأنَّها مِهاة ، فجعلتُ أنظرُ إليها وأملأُ عيني
من محاسنها ، فقالت لي : يا هذا ما شأنك ؟ قلت : وما عليكِ من النظرِ ؟ فأنشأت تقول :
وكنْتَ متى أرسلتَ طرفَكَ رائداً لقلبيكَ يوماً ، أتعبتكِ المناظرُ
رأيت الذي لا كله أنتَ قادرُ عليه ، ولا عن بعْضِهِ أنتَ صابرُ

وقال الفرزدق :

تَزَوَّدَ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدْعُ لَهُ فَوَادًا وَلَمْ يَشْمُرْ بِمَا قَدْ تَزَوَّدَا
فَلَمْ أَرَ مَقْتُولًا ، وَلَمْ أَرَ قَاتِلًا بِنِيرِ سِلَاحٍ مِثْلِهَا حِينَ أَقْصَدَا

وقال آخر :

وَمَنْ كَانَ يُوْقَى مِنْ عَدُوٍّ وَجَاسِدٍ فَأَيُّ مَنْ عَيْنِي أُتَيْتُ وَمَنْ قَلْبِي
هَما اِعْتَوَرَانِي : نَظْرَةً ثُمَّ فِكْرَةً فَمَا أَبْقِيَا لِي مِنْ رَقَادٍ وَلَا لَبٍّ

وقال ابن المعتز :

مَتَيْتُهُمْ يَرْقَى نَجْمُومَ الدُّجَى يَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً عَازِلُهُ
عَيْنِي أَشَاطَتْ بِدَمِي فِي الْهَوَى فَابْكُوا قَتِيلًا بِمَضِهِ قَاتِلُهُ

وقال الأَرَجَانِي :

تَمْتَعْتُمَا يَا مُنْقَلَتِيَّ بِنَظْرَةٍ وَأُورِدْتَمَا قَلْبِي أَمْرًا الْوَارِدِ
أَعْيِنِي كُفًّا عَنْ فَوَادِي فَإِنَّهُ مِنَ الظُّلْمِ سَعَى اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدِ

وقال آخر :

عَاتَبْتُ قَلْبِي لَمَّا رَأَيْتُ جِسْمِي نَحِيلًا
فَأَلْزَمَ الْقَلْبُ طَرْفِي وَقَالَ : كُنْتَ الرَّسُولَا
فَقَالَ طَرْفِي لِقَلْبِي بَلْ كُنْتَ أَنْتَ السَّوْءُ وَلَا
فَقُلْتُ : كُفَّا جَمِيعًا تَرَكْتُمَا قَتِيلًا !

لذّة الحبّ كلّها

قال الشيخ شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزيّة :

« ليس للقلب والروح لذّة ولا أطيب ، ولا أحلى ولا أنعم ، من محبة الله ، والإقبال عليه ، وعبادته وحده ، وقرّة العين به ، والأنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته . وإنّ مثقال ذرّة من هذه اللذّة لا يُمدّل بأمثال الجبال من لذّات الدنيا . »

وقال بعض المارفين : « مَنْ قرّت عينه بالله قرّت به كلّ عين . ومن لم تقرّ عينه بالله تقطعت نفسه على الدّنيا حسرات ، ويكفى في فضل هذه اللذّة وشرفها أنّها تخرج من القلب ألّم الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا ، حتى إنه ليتألّم بأعظم ما يلتذّ بها أهلها ويفرّ منه فرارهم من المؤلم . وهذا موضع - الحاكم فيه الذّوق لا مجرد لسان العلم . »

وكأنّ بعض المارفين يقول : مساكين أهل الدّنيا ، خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا طيب نعيمها . فيقال له : وما هو ؟ فيقول : محبة الله والأنس به والشّوق إلى لقائه ، ومعرفة أسمائه وصفاته .

وقال آخر : والله إنه ليرث بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنّة في مثل هذه الحال ، إنهم لفي عيش طيب . وأنت ترى محبة من محبته عذاب القاب والروح كيف توجب لصاحبها لذّة يتمنى معها أنه لا يفارق من أحبه . كما قال شاعر الحماسة :

تشكى المحبّون الصّباة كيتني تحمّلت ما يلقون من بينهم وحدى
فكانت لقلبي لذّة الحبّ كلّها فلم يلقها قبلي حبّ ولا بعدى !

أَحْسَنْتَ زَيْدِي

قال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جاريةً من جواريه ، فأرادها ، فقالت :
 إِنَّ أَبَاكَ مَسْنَى فَشَغَفَ بِهَا ، وَقَالَ فِيهَا :
 أَرَى مَاءَ وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّكَ تَمْلِكُنِي وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَبِيدِي
 وَأَنَّكَ تَوَجَّهْتِ عَلَى تَلَافِي لَقَلْتُ مِنَ الرِّضَا : أَحْسَنْتَ زَيْدِي

لَذَّةُ اللَّقَاءِ شِفَاءٌ

وذكر العتيبي أن شاباً من ولد عثمان ، وشاباً من ولد الحسين ، خرجا يريدان موضعاً لهما ،
 فنزلا تحت سَرْحَةٍ ، فأخذ أحدهما ورقة فكتب عليها :
 خَبِّرِينَا - خَصَصْتِ بِالْغَيْثِ يَا سَرَّ حُ ، بِصَدَقٍ ، وَالصَّدَقُ فِيهِ شِفَاءٌ
 وكتب الآخر :
 هَلْ يَمُوتُ الْمَحَبُّ مِنْ أَلَمِ الْحُبِّ بِّ وَيَشْفَى مِنَ الْحَبِيبِ اللَّقَاءُ
 ثُمَّ مَضِيَا ، فَلَمَّا رَجَعَا وَجَدَا مَكْتُوباً تَحْتَ ذَلِكَ :
 إِنَّ جَهْلًا سَوَّأَكَ السَّرْحَ عَمَا لَيْسَ يَوْمًا عَلَيْكَ فِيهِ خِفَاءُ
 لَيْسَ لِلْعَاشِقِ الْمَحَبُّ مِنَ الْحُبِّ بِّ سَوَى لَذَّةِ اللَّقَاءِ شِفَاءُ

دعاء في الطواف

وقال أبو النجّاب : رأيتُ في الطواف فتى ، نحيف الجسم ، بينَ الضعف ، يلوذ ويتموّد ويقول :

وددت بأنّ الحبّ يجمع كلّهُ فيقذفُ في قلبي ، وينلقُ الصّدْرُ
فلا ينقضى ما في فؤادي من الهوى ومن فرحى بالحبّ أو ينقضى العُمْرُ
فقلت : يا فتى ، ما لهذه البنية حُرمةً تمنعك عن هذا الكلام ؟ فقال : بلى والله ،
ولكنّ الحبّ ملأ قلبي بفرح التذكّر ، ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشدّ
عن معرفة ما بي . فتمنّيتُ النّسى . والله ما يسرّني بما في قلبي منه ما فيه أمير المؤمنين
من السّلك . وإني أدعو الله أن يثبتهُ في قلبي عمرى ، ويجعله نجيمى في قبرى ، دريتُ به
أو لم أدّر . هذا دعائى ، أو أنصرف من حجّتى . ثم بكى . فقلت : ما يبكيك ؟ قال :
خوف ألا يستجابَ دعائى ، وله قصدت ، وفيه رغبة !

محبة الأعداء

من الكلمات المأثورة عن السيّد المسيح عليه السلام قوله : « أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ » .
وقال دِعبِل الخزاعى :

أشبهت أعدائى فصرّتُ أحبّهم إذ كان حظّى منك حظّى منهم
أجدُ الملامةَ فى هوائك لذيدةً حبّاً لذكركِ فليكنّ لى اللّوم
وقال آخر :

من كان يشكر للصّديق فإنّنى أحبُّو بصالحِ شُكرى الأعداء
هم صيّرُوا طلبَ المالى ديدنى حتى وطئتُ بنعلّى الجوزاء
ولربّما انتفع الفتى بعدوّهِ والسُّمُّ - أحياناً - يكون شفاء

— ١٥٥ —

وقال آخر :

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَىَّ وَمِنَّةٌ
هُوَ يَحْتُوا عَنْ زَلَّاتِي فَاجْتَنِبْتُهَا
فَلَا قَطْعَ الرَّحْمَنِ عَنِي الْأَعَادِيَا
وَهُمْ نَافِسُونِي فَاکْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

وقال أحد الشعراء :

سَرَرْتُ بِهَجْرِكَ لَمَّا عَلِمَ
وَلَوْلَا سُرُورُكَ مَا سَرَرَنِي
تُ أَنْ لِقَابِكَ فِيهِ سُرُورَا
وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورَا

المصادر والمراجع

جميع المصادر والمراجع مأخوذة من كتب مطبوعة ومخطوطة من رصيد الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية وهي :

١٨	التبريزى على الحاسة	١	العقد الفريد
١٩	سحر العيون	٢	خلاصة الأثر
٢٠	فوات الوفيات	٣	أمالى أبى القاسم الزجاجى
٢١	اليتيمة للثعالبي	٤	الإسعاف شرح شواهد الكشف
٢٢	بغية الوعاة	٥	المضاف والمنسوب
٢٣	كتاب الترقيص ضمن كتاب	٦	الحيوان للإجاحظ
	اتفاق المباني واقتراح المعاني	٧	نمح الطيب
٢٤	إرشاد الأديب	٨	وفيات الأعيان لابن خلكان
٢٥	الأغاني	٩	خزانة الأدب للبندادى
٢٦	العزير المحلى	١٠	لوعة الشاكي ودعوة الباكي للصفيدي
٢٧	علم الدين لعلى باشا مبارك	١١	طوق الحمامة فى الألفه والألاف
٢٨	الروض الأنف	١٢	سبيحة المرجان
٢٩	الكامل لابن الأثير	١٣	شرح شواهد التحفة الوردية
٣٠	بدائع الفوائد	١٤	عيون التواريخ
٣١	روضة الأعيان للتراجم	١٥	خاص الخالص للثعالبي
٣٢	روضة المحبين ونزهة المشتاقين	١٦	مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور
		١٧	أمالى أبى على القالى

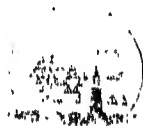
فهرس

كتاب الحب عند العرب

صفحة		صفحة	
٢٨	أنواع الحب	٣	تمهيد لمقدمة الكتاب
٢٨	ضروب المحبة	٤	دعاء مأثور
٢٨	حب الولد	٥	كلمة اللجئة
٣٠	حب الأياىمى واليتامى	١٣	صفات الحب وأغراضه
٣١	أمثال فى الحب	١٣	الحب ما هو
٣٢	حجة بالنة	١٤	الحب والمحبوب
٣٣	حب الأزواج	١٦	عشق الشرف وعشق الجمال
٣٣	زواج النبى من خديجة	١٧	أحلام المحبين
٣٤	حب خديجة للنبي وتقديره لها	١٧	الحبيب الأول والحبيب الآخر
٣٥	خير متاع الدنيا المرأة الصالحة	١٨	الحب مع اختلاف الدين
٣٦	السيدة سكينة بنت الإمام الحسين	١٩	الحب فى كل حال
٣٨	عاتكة بنت زيد	٢٠	حب النساء والمال
٤١	زواج امرىء القيس	٢٣	الحب خضوع النفس
٤٣	ولاء أم عقبة لابن عمها غسان	٢٤	أشقى الناس أهواها
٤٤	زواج حاتم الطائى	٢٥	رابعة المدوية
٤٦	حب سحيم لعائشة بنت طلحة	٢٥	الحب أحسن المعاصى
٤٧	الثريا وعمر بن أبى ربيعة	٢٦	المهوى قدر
٤٩	أبو الأسود الدؤلى وأمرأته وابنهما		
٤٩	المجرد والمرأة التى تبغها		

صفحة	
٥١	الشعراء العشاق
٥١	جبل بنية
٥٣	كثير عزة
٥٤	عمر بن أبي ربيعة
٥٥	من شعر أمية بن الصلت في الغزل
٥٦	حب امرئ القيس
٥٧	ذو الرمة وممة
٥٧	توبة وليلي الأخيلية
٥٩	عبد الله بن طاهر وجاريته
٦٠	بحر هوى ليس له شط
٦٠	حب زينب بنت إسحاق النصراني
٦١	التائب من الحب
٦٢	الحب والجمال
٦٢	حب امتداح النساء
٦٣	أعرابي يصف امرأة
٦٤	الوصف من المشاهدة
٦٦	أسنان النساء
٦٦	دائرة لمحب فيها البدر
٦٧	المرأة والطيب
٦٧	تف الوجه بالخيط
٦٨	تشبيه المرأة ببدر السماء
٦٨	لقاء فتى جميل الوجه في الجنة
٧٠	تسكنى المرأة بالشاة أو البيضة
٧١	في أسماء النساء
٧٦	الغزل ووصف النساء
٧٦	الغزل والتغرل والفرق بينه
٧٦	ياليل الصب متى غده
٧٨	استحسان وضاعة الوجه
٧٩	كواكب لا كواعب
٨٠	كل فتاة بأبيها معجبة
٨١	أصل بليتي من قد غزاني
٨٢	تشبيب عمر بن أبي ربيعة
٨٣	صبح المشيب يدل على ليل الشباب
٨٣	الشاعر الغزال
٨٤	غزال قد غزا قلبي
٨٥	غرام أم جنون
٨٦	سلموس وسلمسة
٨٧	طائفة بت معاوية
٨٨	وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح
٨٩	وصف : ية المنذر إلى أنوشروان
٨٩	نارس عربي جميل
٩١	غنيه : شحاذة
٩٢	العيون
٩٢	لأعذب العين
٩٣	معاني لفظ العين
٩٥	وصف العين وأسماء أجزائها
١٠٠	آفة النظر وغائلته

الصفحة	الصفحة
عداوة النساء ١٤٠	تعدد الزوجات والأزواج ١٠٢
طاعتهن تردى العقلاء وتذل الأعزاء ١٤٠	هند وأبو سفيان ١٠٢
بنات الأربعين من الرزايا ١٤٣	حكمة التعدد في الإسلام ١٠٢
طرائف عن الحب ١٤٤	المرأة التي تزوج عليها زوجها ١٠٥
حيلة عاشق ١٤٤	عدم زواج الرجل بمن يهواها ١٠٦
بين الحب والمال ١٤٥	رؤية الرجل المرأة عند تزوجها ١٠٦
قليل منك يكفيني ١٤٦	رايات من خمر النساء ١٠٨
من الحب إلى الزهد ١٤٧	كشف وجه المرأة في الإحرام ١٠٩
معي بين أضلعي ١٤٩	المرأة لعبة زوجها ١١٠
يرى الفؤاد الروحين يتمزجان ١٤٩	مات زوجها فتزوجت ١١٠
لئن ساءني لقد سرني ١٥٠	وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها ١١٢
العشق عفة ونزاهة ١٥٠	المتوفى
الطرف رسول رائد للقلب ١٥٠	القبلة وإباحتها ١١٣
لذة الحب كلها ١٥٢	محاسن الخلق والخلق ١١٥
أحسن زبدي ١٥٣	ما قيل في الأسماء ١٢٢
لذة اللقاء شفاء ١٥٣	ما قيل في المهن والحرف ١٣٢
دعاء في الطواف ١٥٤	
محبة الأعداء ١٥٤	



Library of the Alexandria Library (ICAL)
National Library of the Republic of Tunisia

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف للطباعة والنشر
بسوسة - الجمهورية التونسية
في شهر جوان 1993

من منشورات الأديان

- الحب عند العرب العلامة أحمد تيمور
تاريخ الغزل في الأدب العربي الأستاذ أحمد الشايب
كتاب الكناية والتعريض لأبي منصور عبد الملك الثعالبي
المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للقاضي الجرجاني
طوق الحمامة في الألفة والألاف ابن حزم الأندلسي
آداب النكاح وكسر الشهوتين للإمام أبو حامد الغزالي
إمرأتنا في الشريعة والمجتمع الأستاذ الطاهر الحداد
المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية الدكتور سعيد عاشور
تزيين الأسواق في أخبار العشاق للعلامة داود الأنطاكي
ديوان الصبابة لشهاب الدين بن أبي حجلة

تتمت الطبعة

رجوع الشيخ إلى صباه
للعلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف
التيفاشي القفصي
طبعة بتحقيق
حسن أحمد جغام وفرج الحوار

تم سحب ثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب.

تدمك : 6 - 205 - 16 - 9973 ISBN

الثلث : 3.000 د.ت. أو ما يعادلها بالعملة الأخرى.

الطبعة الأولى : جوان 1993.

من منشورات الدار

- الحب عند العرب العلامة أحمد تيمور
تاريخ الغزل في الأدب العربي الأستاذ أحمد الشايب
كتاب الكناية والتعريض لأبي منصور عبد الملك الثعالبي
المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للقاضي الجرجاني
طوق الحمامة في الألفة والألاف ابن حزم الأندلسي
آداب النكاح وكسر الشهوتين للإمام أبو حامد الغزالي
إمرأتنا في الشريعة والمجتمع الأستاذ الطاهر الحداد
المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية الدكتور سعيد عاشور
تزيين الأسواق في أخبار العشاق للعلامة داود الأنطاكي
ديوان الصبابة لشهاب الدين بن أبي حجلة

ت الطبع

رجوع الشيخ إلى صباه

للعلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف

التيفاشي القفصي

طبعة بتحقيق

حسن أحمد جغام وفرج الحوار

تم سحب ثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب .

تدمك : 6 - 205 - 16 - 9973 ISBN

الثمن : 3.000 د.ت. أو ما يعادلها بالعملات الأخرى .

الطبعة الأولى : جوان 1993